أجاثا كريستي

جريمة علي الشاطئ

ترجمة

احمد حسن

الحريـة

للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	جريمة على الشاطئ
ترجـــمـــة	أحمد حسن
النـــاشـــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ - ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٢٣٨٧٧٩٢١.
رقـم الإيـداع	٢٠٠٧/٣٧٤
الترقيم الدولى	8- 49 -7200 - 977

الحريـــة 3 ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة

للنشر والتوزيع 0123877921 - 25745679

جريمة على الشاطئ

جلس هركيول بوارو على الرمال البيضاء وأرسل بصره إلى المياه الزرقاء التى تتألق تحت أشعة الشمس.

كان يرتدى ثياباً بيضاء أنيقة، ويضع على رأسه قبعة عريضة.. وكان من الواضح أنه ينتمى إلى الجيل القديم الذى يؤمن بضرورة حجب الجسد عن الشمس، على عكس الابنه التى كانت تجلس إلى يمينه ولا تكف عن الكلام، فقد كانت مثل الجيل الجديد الذى يدعو إلى ارتداء أقل قدر من الثياب حتى يتعرض أكبر قدر من بشرة الجسم لأشعة الشمس.

ولم يكن الكلام المتدفق من فم باميلا ليول يتوقف إلا ريثما تضمخ هذه الثرثارة جسدها بسائل زيتى من زجاجة بجوارها.

وإلى يسار بوارو.. كانت سوزان بليك صديقة باميلا الحميمة

تتمدد على منشفة كبيرة ووجهها إلى الأرض، وقد لوحت الشمس بشرتها، وأكسبتها لوناً برونزياً متوازناً، جعل صديقتها تنظر إليها أكثر من مرة وفى عينيها بريق الغيرة.

قالت باميلا فى أسى:

ـ ما زالت فى بشرتى بقعا بيضاء كبيرة لم تلوحها أشعة الشمس.. هلا تفضلت بتدليك ضلعى الأيمن بالزيت يا مسيو بوارو؟؟ إن يدى لا تستطيع الوصول إليه.

ففعل بوارو ما طلبته، ثم مسح يده بمنديله بعناية شديدة.

وكانت هواية باميلا ليول الرئيسية فى الحياة هى ملاحظة الناس من حولها.. فلم تلبث أن قالت:

ـ لقد صدق ظنى بشأن المرأة التى رأيناها أمس.. فى ثوب من ابتكار مصمم الأزياء (شانيل).. أنها فالنتين شانترى بعينها.. لقد عرفتها لأول وهلة.. وهى فى الحق رائعة.. أليست كذلك؟ إننى الآن اعرف لماذا يتدله الرجال فى حبها.. وأكبر الظن أنها تتوقع منهم ذلك.. وهذا نصف المعركة.

أما الزوجان الآخران اللذان قدما إلى الفندق ليلة أمس فهما مستر ومسز جولد، والزوج غاية فى الوسامة.

فقالت سوزان بصوت خافت:

- هل قدما لقضاء شهر العسل؟

- كلا.. إن ثيابها ليست جديدة. من السهل جداً معرفة العرائس من ثيابهن، ألا ترى يا مسيو بوارو أنه ليس فى الدنيا ما هو أكثر إثارة من مراقبة الناس ومعرفة كل شىء عنهم بمجرد النظر إليهم؟

فقالت سوزان بصوت عذب:

- ليس بمجرد النظر إليهم يا عزيزتى.. انك تلقين أيضاً كثيراً من الأسئلة.

فقالت باميلا بأنفة وكبرياء:

- إنى لم أتحدث قط إلى مستر ومسز جولد .. وعلى كل حال فإننى لا أرى ما يمنع الإنسان من الاهتمام بأمثاله من الآدميين.. إن الطبيعة البشرية تثير الفضول.. ألا تظن ذلك يا مسيو بوارو؟

فأجاب بوارو دون أن يحول عينه عن الماء:

- ليس دائماً.

- أنا لا أعتقد أن هناك ما هو أكثر إثارة وغموض من الإنسان.

- غموض؟ لا أظن ذلك.

- بل إن الإنسان مخلوق غامض لا يمكنك أن تسبر غوره.. أنه دائماً يفعل الشىء الذى لا تتوقع أن يفعله.

فهز بوارو رأسه وأجاب:

ـ كلا.. كلا.. هذا غير صحيح.. فالإنسان قلما يفعل شيئاً ليس من طبعه.

فقالت بامبلا:

ـ إننى لا أقرك على هذا الرأى.

وصمتت لحظة قصيرة قبل أن تغادر الهجوم.

قالت:

ـ إننى لا أكاد أرى الناس حتى أشرع فى التساؤل: ترى من هم؟ وما صلة كل منهم بالآخر؟ وفيم يفكرون وبماذا يشعرون.. وهذه كلها أمور تثير العجب والفضول.

فقال بوارو:

ـ لا أظن ذلك، إن الطبيعة تكرر نفسها أكثر مما يتصور الإنسان.

ثم أضاف بعد صمت قصير:

ـ إن البحر أغنى بالألوان من الطبيعة البشرية.

فاستدارت سوزان إلى بوارو وسألت:

ـ هل تعتقد أن النوع البشرى يتحرك فى تفكيره وسلوكه داخل دائرة محدودة؟

فأجاب بحدة:

ـ تماماً.

ثم راح يرسم شيئاً على الرمال فسألته باميلا فى فضول:

ـ ماذا ترسم؟

فأجاب بوارو:

ـ أرسم مثلثا..

ولم تسأله باميلا عما يعنى بهذا المثلث.. لأن اهتمامها تحول إلى شىء آخر.

هتفت تقول:

ـ ها هى فالنتين شانترى.

وأبصروا بامرأة طويلة القامة شديدة الاعتداد بنفسها والاحساس بجمالها تتهادى نحوهم وتحييهم باحناءه من رأسها مقترنة بابتسامة.

وجلست المرأة على الرمال، وانزلق على كتفيها الوشاح الحريرى القرمزى الموشى بالذهب، وكشف عن ثوب الاستحمام الأبيض الذى يبرز مفاتن جسدها.

ولم تتمالك باميلا من أن تهتف:

ـ ما أجمل قوامها!!!

ولكن بوارو كان ينظر إلى وجه فالنتين شانترى.. لا إلى قوامها..

وجه امرأة فى التاسعة والثلاثين من عمرها، اشتهرت بجمالها منذ كانت فى السادسة عشرة.

كان يعرف، مثل جميع الناس، كل شىء عن فالنتين شانترى التى اشتهرت بأشياء كثيرة: بنزواتها وثروتها الطائلة وعينيها الزرقاوين الواسعتين.. ومغامراتها فى الزواج والحب.. فقد تزوجت خمس مرات.. واتخذت لنفسها من العشاق عدداً لا يمكن حصره.. وكان أول أزواجها نبيلا إيطاليا، والثانى أحد ملوك الفولاذ فى أمريكا، والثالث لاعب تنس محترف. والرابع أحد هواة سباق السيارات.

ومن هؤلاء الأربعة مات واحد هو الزوج الأمريكى، أما الثلاثة الآخرون فإنها طلقتم.

وبعد ستة شهور من طلاقها من الزوج الرابع، تزوجت للمرة الخامسة من ضابط فى البحرية.. هو ذلك الرجل الصامت العبوس، [illegible] الفكين، الذى جاء يسعى خلفها.

[illegible] المرأة الفاتنة إلى زوجها وقالت:

- أين عل[illegible] [illegible]ائرى يا عزيزى طونى؟

[illegible] فقدم لها ال[illegible] وأشعل لها سيجارة، وساعدها على حل حمالات ثوب الاستحمام.

وتمددت فالنتين شانترى تحت الشمس.. وبسطت ساعديها فوق

الرمال.. بينما جلس زوجها بجوارها أشبه بوحش يحرس فريسته.

وقالت باميلا بصوت خافت:

- إنهما يثيران فضولى واهتمامى بل وهلعى أيضاً.. فهو أشبه بوحش صامت متحفز، وأعتقد أن امرأة من طرازها تحب هذا النوع من الرجال... وأكبر الظن أنها تشعر كأنها بسبيل ترويض أحد النمور.. ترى كم سيستمر هذا الزواج؟؟.. إنها تمل أزواجها بسرعة.. ولكنى أعتقد أنها إذا حاولت التخلص من هذا الزوج فإنه قد يصبح خطراً عليها.

وأقبل زوجان آخران يسيران على استحياء.. هما الزوجان اللذان قدما إلى الفندق فى الليلة السابقة وعرفت باميلا من دفتر النزلاء أنهما يدعيان مستر ومسز دجلاس جولد.

كذلك عرفت باميلا من البيانات التى يحتم القانون تسجيلها فى دفتر النزلاء نقلاً عن جوازات السفر أن دجلاس جولد فى الحادية والثلاثين من عمره، وأن زوجته مارخورى جولد فى الخامسة والثلاثين.

كانت هواية باميلا كما قلنا، هى دراسة طبائع الناس، وكانت لها الجرأة، خلافاً لغالبية الإنجليز، على التحدث إلى الغرباء بمجرد أن يقع بصرها عليهم.. دون أن تدع أربعة أو خمسة أيام تمر قبل أن تبادر بالحديث كما هى عادة الإنجليز... ولذلك فإنها لم تكد تلاحظ خجل

مسز جولد وترددها حتى ابتدرتها قائلة:

- طاب صباحك!! إنه يوم جميل... أليس كذلك؟

- كانت مسز جولد امرأة صغيرة الحجم، أشبه بالفأر، ولم تكن دميمة.. بل على العكس.. كانت قسمات وجهها دقيقة ومنتظمة، وبشرتها صافية جميلة.. ولكن شيئاً فيها كان يوحى بأنها شديدة الخجل والانطواء على نفسها، ويدعو إلى تجاوزها وعدم الالتفات إليها.. أما زوجها فكان وسيماً للغاية على نحو لا يرى، إلا على خشبة المسرح.

كان طويل القامة عريض الكتفين، ذا شعر ذهبى مجعد وعينين زرقاوين صافيتين.. ولكن الانطباع بأنه أشبه بأبطال المسرحيات منه بشاب عادى كان يتلاشى حالماً يفتح فمه ويتكلم.. ذلك أن لهجته وصوته وطريقته فى الحديث.. كانت توحى بأنه إنسان بسيط.. بل وإنسان على شىء من الغباء.

ونظرت مارجورى جولد إلى باميلا شاكرة وجلست على مقربة منها، وقالت:

- ما أجمل لون بشرتك البرنزى!!!

فتنهدت باميلا وقالت:

- ليس أشق من الحصول على بشرة برنزية متوازنة.. أنكما وصلتما

حديثا.. أليس كذلك؟

- نعم، وصلنا ليلة أمس بالباخرة الإيطالية.

- هل زرتما رودس قبل هذه المرة؟

- كلا.. إنها جزيرة جميلة.. أليست كذلك؟

وقال زوجها:

- مما يؤسف له أنها بعيدة جداً عن إنجلترا.

- نعم.. ليتها كانت أقرب.

فقالت سوزان:

- لو كانت أقرب لامتلأت بالمصطافين، ولغصت شواطئها بالأجساد.

فقال دجلاس جولد:

- هذا صحيح.. ولكن مما يبعث على الضيق أن سعر النقد الإيطالى مرتفع جداً هذه الأيام.

- لابد أن يكون لذلك تأثيره على حركة السياحة فى هذه الجزيرة.

وعلى بعد خطوات، تنهدت فالنتين شانترى واعتدلت جالسة وأصلحت من وضع ثوب الاستحمام على صدرها، ثم تثاءبت فى رقة كما تتثاءب القطة وأرسلت بصرها إلى الشاطئ.. واستقرت عيناها

لحظة على رأس دجلاس جولد الذهبى.

وبعد قليل،قالت بصوت أعلى قليلاً مما ينبغى:

- ما أروع الشمس يا عزيزى طونى.. لابد أننى كنت فى وقت ما من عباد الشمس..

فتمتم زوجها بكلمات لم يسمعها الآخرون، واستطردت فالنتين شانترى تقول بنفس الصوت المرتفع:

- هلا أصلحت من وضع المنشفة على الرمال أيها العزيز؟

كان واضحاً أنها تعنى أشد العناية بوضع جسمها الجميل.

وكان دجلاس جولد قد بدأ ينظر إليها وفى عينيه اهتمام واضح بينما قالت زوجته تحدث باميلا بصوت خافت:

- يالها من امرأة فاتنة!!

وكانت باميلا تجد فى إذاعة الأنباء نفس اللذة التى تجدها فى سماعها فقالت بصوت خافت:

- إنها فالنتين شانترى... رائعة الجمال.. أليست كذلك؟ وزوجها مفتون بها ولا يدعها تغيب عن عينه لحظة واحدة.

وهنا نظرت مارجورى جولد إلى البحر مرة أخرى وقالت:

- إن البحر جميل حقاً وشديد الزرقة.

وأظن أنه يحسن بنا أن نسبح قليلاً.. ما رأيك يا دجلاس؟

ولكن دوجلاس كان فى شغل عنها بالنظر إلى فالنتين شانترى... ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يجيبهما وهو شارد الذهن.

ـ نسبح قليلاً؟ آه.. نعم.. صبراً لحظة.

فنهضت مارجورى واقفة وسارت حتى اقتربت من حافة الماء.

واستلقت فالنتين على جنبها ولم تحول عينيها عن دجلاس جولد، وارتسمت على شفتيها ابتسامة... فأحمر وجه دجلاس وانتشر الإحمرار حتى شمل عنقه.

وقالت فالنتين فى دلال:

ـ طونى... يا حبيبى... هلا جئتنى بعلبة الدهون! إنها على مائدة الزينة.. وكنت أريد أن أحضرها معى.. يالك من ملاك كريم!!

فأطاع الكابتن شانترى ونهض واقفاً.. وسار فى اتجاه الفندق، بينما ألقت مارجورى بنفسها فى الماء وصاحت:

والتفتت باميلا إلى دجلاس وسألته:

ـ ألا تريد أن تسبح؟

فأجاب بشىء من الغموض.

ـ أريد أن أستمتع بالشمس أولاً.

وتحركت فالنتين فى مكانها، ورفعت رأسها وكأنها تريد استدعاء زوجها ولكنه كان قد ابتعد ووصل إلى حديقة الفندق.

وقال دجلاس:

- أريد أن تكون السباحة آخر شىء أفعله قبل العودة إلى الفندق.

واعتدلت فالنتين جالسة مرة أخرى.. وتناولت قنينة زيت مما يستخدم فى مسح الجسد بعد الاستحمام.

ويبدو أنها وجدت صعوبة فى فتحها.. فقالت بصوت مرتفع:

- يا إلهى... إننى لا أستطيع فتح هذه القنينة.. ونظرت نحو بوارو وجماعته.. ونهض بوارو واقفاً على الفور ولكن دجلاس جولد بشبابه وحيويته كان أسرع منه إلى المرأة الفاتنة.

قال لها:

- هل تسمحين لى بفتحها؟

فأجابت بصوت رخيم، وبكل الدلال:

- آه.. شكراً لك، إنك إنسان كريم.. من عجب إننى أفشل دائماً فى نزع سدادات هذه القنانى.. آه.. أرى أنك فتحتها.. شكراً لك ألف شكر.

ورأى بوارو كل ذلك وابتسم:

ثم نهض من مكانه.. وراح يمشى الهوينا على الشاطئ.. ولم يبتعد كثيراً.. وعندما هم بالعودة، رأى مارجورى تخرج من البحر وتلحق به.

كانت قد سبحت طويلاً كان وجهها يتألق تحت قلنسوتها الحمراء العتيقة الطراز.

قالت وهى تلهث:

- إننى أحب البحر.. خاصة متى كان هادئاً ودافئاً كما هو هنا.

ولاحظ بوارو أنها تهوى السباحة حقاً.

قالت:

- إننى ودجلاس نحب السباحة بجنون.. ودجلاس يستطيع البقاء فى الماء ساعات طول.

فنظر بوارو من فوق كتفها إلى حيث كان دجلاس جولد، ذلك السباح المتحمس، جالساً يتحدث إلى فالنتين شانترى.

قالت مارجورى جولد:

- إننى أعرف لماذا لم ينزل إلى الماء.

كان فى صوتها شىء من حيرة الأطفال.. فنظر بوارو نحو فالنتين شانترى وقال يحدث نفسه: ترى كم من الزوجات ألقين على أنفسهن مثل هذا السؤال فى وقت ما.

وتنهدت مارجورى.. وقالت فى هدوء:

ـ المفروض أنها امرأة جذابة.. ذات فتنة طاغية.. ولكن دجلاس لا يحب هذا النوع من النساء.

فصمت بوارو ولم يجب، وعادت مارجورى جولد إلى البحر وألقت بنفسها فى أحضانه.. وراحت تسبح ببطء وثبات مبتعدة عن الشاطئ.

كان من الواضح أنها تحب الماء.

وعاد بوارو أدراجه إلى حيث كانت الجماعة، فوجد أنها قد زادت واحداً بقدوم الجنرال بارنز العجوز الذى كان يرى دائماً فى صحبة الشباب.. وكان حينئذٍ يجلس بين باميلا وسوزان.. ويتبادل مع الأولى آخر أنباء الفضائح.

وكان الكابتن شانترى قد عاد من مهمته وجلس مع دجلاس على جانبى فالنتين... وقد راحت هذه الأخيرة تتحدث إليهما بصوتها العذب الرقيق... وتوجه حديثها إلى أحدهما تارة وإلى الآخر تارة أخرى.

كانت تروى لهما إحدى الطرائف التى مرت بها، وختمت روايتها بقولها:

ـ ... فهل تعرف ماذا قال هذا الرجل الطيب؟

لقد قال: إننى رأيتك لمدة دقيقة واحدة.. ولكنى أتذكرك جيداً

وأستطيع أن أعرفك في أى مكان.. ألم يقل ذلك ياطونى؟ كان جميلاً منه أن يقول هذا الكلام.. إن الناس جميعاً يحبوننى ويعطفون على ولست أدرى لماذا؟ على أننى قلت لطونى: إذا كان من حقك أن تغار يا طونى.. فيجب أن تشعر بالغيرة من هذا الموظف اللطيف... لأن دماثه خلقه ونبل مشاعره يدعوان إلى حبه..

فقال دجلاس:

- إن بعض رجال الجمارك على جانب عظيم من الكرم ودماثة الخلق.

- هذا صحيح.. ولكن ذلك الموظف بالذات قد تكبد كثيراً من المتاعب من أجلى.. وأسعده أن يمد إلى يد المساعدة.

فقال دجلاس جولد:

- لا غرابة فى ذلك، أنا واثق أن كل إنسان يسعده أن يمد إليك يد المساعدة.

فصاحت فالنتين:

- ما أظرفك!! هل سمعت ماذا قال يا طونى؟ فزمجر الكابتن شانترى ولم يجب، وتنهدت زوجته وقالت:

- إن طونى لا يقول لى أبداً مثل هذا الكلام اللطيف.

ومدت يدها البيضاء بأظافرها الحمراء الطويلة وراحت تعبث

بشعر رأسه الأسود ولكنه رمقها فجأة بنظرة صارمة فقالت:

- الواقع أن سعة صدره تذهلني... فإنه يتركني أتكلم وأتكلم ويصغي إلى دون أن ينطق ببنت شفة.. وكأنه لا يسمع شيئاً مما أقول.. لا أحد يعبأ بما أقول أو أفعل.. الجميع يدللونني.

وهنا نظر الكابتن شانترى إلى دجلاس جولد وسأل:

- أهذه زوجتك التى تسبح فى البحر!

- نعم.. وأظن أننى يجب أن ألحق بها..

فقالت فالنتين:

- الجلوس هنا فى الشمس أجمل من السباحة.. إننى لا أنوى السباحة اليوم يا عزيزى طونى.. لأننى أخشى أن أصاب ببرد.. ولكن لماذا لا تسبح أنت يا طونى.. إذهب أنت.. وسيبقى مستر جولد معى إلى أن تعود.

فعبس شانترى وقال:

- كلا.. شكراً لك، سأسبح فيما بعد.. يخيل إلى أن زوجتك تلوح لك بيدها يا مستر جولد.

فقالت فالنتين:

- إنها تجيد السباحة.. أنا واثقة من أنها من أولئك النساء

المقتدرات اللائى يجدن عمل كل شىء.. إنهن يخففننى... وأشعر بأنهن يحتقرننى... لأننى لا أجيد عمل أى شىء.. أليس كذلك يا عزيزى طونى؟

ولكن الكابتن لاذ بالصمت فقالت زوجته:

- إن كرم خلقك يأبى عليك الاعتراف بهذه الحقيقة.. فى أحب الرجال لإخلاصهم.. إنهم أوفر إخلاصاً من النساء، وفى اعتقادى أن النساء حقودات وتافهات.

وهنا همست سوزان وهى تصرف بأسنانها:

- ما أشد غباء هذه المرأة!!! إنها أغبى امرأة رأيتها.. إن كل ما تستطيعه هو أن تقول: (أيها العزيز طونى).. ثم تجيل عينيها يميناً ويساراً كمن يريد أن يلفت إليه الأنظار ويقول (هأنذا).. ألا تستطيع أن تترك الرجال وشأنهم؟ إن زوجها يبدو كمن يوشك أن ينفجر.

فنظر بوارو إلى البحر وقال:

- إن مسز جولد تجيد السباحة.

- نعم... وهى ليست مثلنا.. نحن اللائى يضايقنا أن نشعر بالملل.. أظن أن فالنتين شانترى لن تنزل إلى الماء طوال إقامتها هنا.

فقال الجنرال بارنز:

- لا أظنها ستفعل.. فهى تخشى أن يمحو المياه ماكياجها، ولكن

ذلك لا يمنع من الاعتراف بأنها امرأة فاتنة.

فقالت سوزان فى خبث:

- إنهـا تنظر نحـوك يا جنرال!! ثم إنك مـخطىء بشـأن الماكـيـاج.. فنحن جميعاً نستخدم من مواد الماكياج مالا يمحوه الماء أو القبلات.

وقالت باميلا:

- ها هى مسز جولد مقبلة نحونا.

وكانت مارجورى قد خرجت لتوها من الماء.

كان قوامها جميلاً.. ولكن قلنسوتها العتيقة كانا خليقة بأن تفسد منظرها.

قالت تحدث زوجها فى شىء من الضيق وفروغ الصبر:

- ألا تأتى يا دجلاس؟ إن البحر دافئ وجميل.

- حسناً.

ونهض بسرعة.. وتريث لحظة قبل أن يمضى مع زوجها.

ومن هذه اللحظة.. رفعت إليه فالنتين عينيها، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة عذبة:

- إلى اللقاء!!

وانطلق دجلاس وزوجته يعدوان على الشاطئ.. وما أن ابتعدا حتى

قالت باميلا:

- لم يكن من الحكمة أن تفعل مسز جولد ما فعلت.. إن انتزاع الزوج من امرأة أخرى سياسة خاطئة.. توحى بأنها زوجة مسيطرة.. وذلك ما يمقته الأزواج.

فقال الجنرال بارنز:

- يخيل إلى أنك تعرفين الكثير عن الأزواج يا مس باميلا.

- أزواج الأخريات.. لا أزواجى.

فقالت سوزان:

- مهما يكن من أمر فإنى لا أرضى أن أضع على رأسى قلنسوة كقلنسوتها.. ولو أعطيت ملايين الروكفار.

فقال الجنرال:

- لا بأس بالقلنسوة.. ولا بأس بصاحبتها.. إنها تبدو لى فى مجموعها امرأة متزنة معقولة.

فقالت سوزان:

- ولكن هناك حدود لاتزان المرأة المتزنة يا جنرال.

وإنى أشعر بأنها لن تحتفظ باتزانها طويلاً.. مع وجود فالنتين شانترى.

ثم حولت رأسها وقالت بصوت خافت مفعم بالانفعال:

- انظر إلى زوجها.. إن فى أعماقه عاصفة تبدو آثارها على وجهه.. يخيل إلى أنه رجل مخيف.. شديد الخطورة.

والواقع أن شانترى كان يشيع دجلاس جولد وزوجته نظرة تنم عن البغض الشديد.. فتحولت سوزان إلى بوارو وقالت:

- ما رأيك فى كل هذا يا مسيو بوارو؟

فلما يجبها بوارو... واكتفى بأن خط بأصبعه على الرمال نفس الرسم.. رسم المثلث.

فتمتمت سوزان قائلة:

- (المثلث الخالد) الزوج والزوجة والعشيق، ربما كنت على حق يا مسيو بوارو.. فإذا صح ذلك فإننا سوف نقضى فى الأسابيع القليلة القادمة وقتاً حافلاً بالإثارة.

* * *

خاب أمل بوارو فى جزيرة (ردوس).. فقد جاء إلى الجزيرة طلباً للراحة.. وللحصول على أجازة من الجريمة.. وقد قيل له فيما قيل عن الجزيرة أنها ستكون فى شهر أكتوبر منطقة هادئة تكاد أن تكون خالية تماماً من المصطافين والسائحين.. وكان ذلك صحيحاً.. إذ لم يكن هناك من النزلاء أحد سواه.. هو وآل شانترى وآل جولد وياميلا

وسوزان والجنرال وأسرتين ايطاليتين أخريين.

ولكن فى هذه الدائرة المحدودة من الأشخاص استطاع بوارو بذكائه أن يتصور شكل الأحداث التى سيتمخض عنها المستقبل.

قال لنفسه يؤنبها:

- لابد أننى مصاب بعسر الهضم مما يجعلنى أتصور أموراً لا وجود لها.

وذات صباح، هبط من غرفته ليجد مسز جولد تعمل بابرتها فى شـرفـة الفندق.. ولما اقـتـرب منهـا خيل إليـه أنـه رآهـا تخـفى منديلهـا بسرعة.

كانت عيناها جافتين.. ولكن كان فيهما بريق يثير الريبة.

وحين سمع صوتها.. أحس على الفور بأنها تصطنع المرح.

هتفت قائلة:

- طاب صباحك يا مسيو بوارو.

وشعر بأنها لا يمكن أن تكون سعيدة برؤيته إلى هذا الحد، سيما وأنها لم تكن تعرفه حق المعرفة.

وعلى الرغم من غرور بوارو الشديد فيما يختص بمهنته، فإنه كان جم التواضع فى تقدير جاذبيته الشخصية.

أجاب:

ـ طاب صباحك يا سيدتى.. هذا يوم جميل آخر.

ـ أليس ذلك من حسن الحظ؟ إن التوفيق يحالفنى دائماً أنا ودجلاس فيما يتعلق بالطقس.

ـ أحقاً؟

ـ نعم.. والواقع أننا سعداء الحظ معاً.. وكلما رأى الإنسان متاعب الآخرين وتعاستهم.. وقضايا الطلاق بينهم حمد الله على سعادته وهنائه.

ـ يسرنى أن أسمعك تقولين ذلك يا سيدتى.

ـ نعم... إننى ودجلاس سعيدان إلى أقصى أحد، لقد تزوجنا منذ خمس سنوات... ورغم أن خمس سنوات تبدو مدة طويلة فى هذه الأيام.. فأننى..

فقاطعها بوارو قائلاً بشىء من الجفاء:

ـ لا شك عندى فى أنها فى بعض الحالات تبدو كأنها الأبدية.

ـ إننى أعتقد أننا الآن أسعد مما كنا فى بداية حياتنا الزوجية.. إن كلا منا يلائم الآخر تماماً.

ـ هذا أهم شىء فى الحياة الزوجية بطبيعة الحال.

ـ وهذا هو السبب فى أننى أرثى من كل قلبى لأولئك الذين لم تتحقق لهم السعادة.

ـ هل تعنين..

ـ إننى أتكلم بصفة عامة يا مسيو بوارو.

وألقت نظرة على ما أنجزته بابرتها ثم استطردت قائلة:

ـ إليك مثلاً فالنتين شانترى.

ـ نعم.. ماذا عن فالنتين شانترى.

ـ أنا لا أظن أنها امرأة جميلة.

ـ ربما كنت على حق.

ـ الواقع أننى على يقين من أنها ليست امرأة لطيفة.. ولكن الإنسان لا يسعه إلا أن يرثى لها ذلك أنها رغم ثرائها الفاحش وفتنتها الطاغية وما إلى ذلك.. فإنها.

وهنا لاحظ بوارو أن أصابعها ترتجف.. واستطردت مارجورى جولد فى حديثها قائلة:

ـ فإنها ليست المرأة التى يحرص الرجل على البقاء معها.. أو بمعنى آخر.. إنها من الطراز الذى يتعب منه الرجل بسرعة.. ويسعى إلى التخلص منه.. ما رأيك أنت يا مسيو بوارو؟

فأجابها فى حذر:

ـ أنا شخصياً لا أطيق سماع حديثها أكثر من بضع دقائق.

- لا أنكر أن لها جاذبية خاصة.

صمتت قليلاً.. ثم قالت:

- حقاً أن الرجال كالأطفال... إنهم يصدقون كل شىء.

وهنا رأى بوارو أن من الأفضل أن يغير مجرى الحديث فقال:

- ألا تسبحين اليوم؟ وزوجك.. هل ذهب إلى الشاطئ؟

فرفعت مارجورى رأسها بشىء من التحدى، وقالت وهى تصطنع المرح مرة أخرى:

- كلا.. لقد اتفقنا على القيام بجولة فى المدينة لزيارة معالمها القديمة.. ولكنى أبطأت قليلاً فى إرتداء ثيابى.. فذهبوا بدونى.

وهم بوارو بأن يلقى سؤالاً... ولكنه فوجىء بقدوم الجنرال بارنز من الشاطئ.. ورآه يلقى بنفسه فى أحد المقاعد وهو يلهث.

قال الجنرال:

- طاب صباحك يا مسز جولد.. طاب صباحك يا مسيو بوارو.. إنكما تخلفتما اليوم عن القدوم إلى الشاطئ.. وتخلف معكما الكثيرون.. تخلف مستر جولد.. وفالنتين شانترى.. و..

فسأله بوارو بقلة إكتراث؟

- والكابتن شانترى؟

فأجابه الجنرال وهو يضحك:

- كلا.. إنه على الشاطئ مع باميلا التى تجاذبه أطراف الحديث وتحاول أن تخرجه من صمته.

فقال ماجورى:

- إن هذا الرجل يخيفنى.. إنه عابس ومتجهم بصورة دائمة.. ويخيل للناظر إليه أنه سيقدم على ارتكاب جريمة.

فقال الجنرال فى مرح:

- إن عسر الهضم هو أهم أسباب توتر الأعصاب وثورات الغضب.

فارتسمت على شفتى مارجورى ابتسامة مهذبة ولم تجب.

وسألها الجنرال:

وأين زوجك يا مسز جولد؟

- دجلاس؟ أعتقد أنه ذهب مع مسز شانترى لزيارة معالم المدينة.

- إنها معالم جديرة بالزيارة.. وكان ينبغى أن تذهبى معهما.

- الواقع أنى أبطأت كثيراً فى إرتداء ثيابى.

قالت ذلك ونهضت فجأة.. وتمتمت بكلمة اعتذار.. ودخلت الفندق.

وشيعها الجنرال بنظرة تنم عن القلق.. وقال وهو يهز رأسه فى أسى:

- امرأة صغيرة لطيفة تساوى عشرات من أمثال تلك الحمية الملونة التى لا أريد أن أذكر اسمها.. وزوجها شاب أحمق لا يدرى ما هو فاعل.

ونهض بدوره ودخل الفندق.

وكانت سوزان بليك قد قدمت لتوها من الشاطئ، وسمعت آخر عبارة تفوه بها الجنرال، فتهالكت على أحد المقاعد، وقالت وهى تشيع الجنرال بنظرة ساخرة:

- امرأة صغيرة لطيفة حقاً !!! إن الرجال لا يكفون عن إطراء فضليات النساء.. ولكنهم يترامون تحت أقدام الدمى الملونة.. أمر محزن.. أليس كذلك؟ ولكنه الواقع.

قال بوارو بصوت جاف:

- يا آنسة.. كل هذا الذى يحدث هنا لا يعجبنى.

- ولا يعجبنى أنا أيضاً.. ولكن لا.. دعنا نكن صادقين.. أظن أن ما يحدث هنا يعجبنى ويثير فضولى.. إن فى طبيعة كل إنسان جانباً مزعجاً يتهجمه الكوارث العامة والحوادث المؤلمة التى تقع لأصدقائه.

فسألها بوارو:

- أين الكابتن شانترى؟

- على الشاطئ مع باميلا التى حاولت عبثاً أن ترفه عنه.. كان يرغى ويزيد عندما غادرته منذ قليل... وأكبر الظن أننا سنشهد

أحداثاً جساماً.

ـ هنالك شيء لا أفهمه.

ـ من السهل أن تفهمه.. ولكن المسألة هي:

ماذا سوف يحدث؟

ـ صدقت يا آنسة.. المستقبل هو الذي يثير القلق.

ـ يا له من تعبير ذكي.

وعندما همت بدخول الفندق، كادت أن تصطدم بدجلاس جولد، الذي كان يبدو راضياً عن نفسه وإن كان يشوبه بعض الخزي.

هتف قائلاً:

ـ طاب يومك يا مسيو بوارو.. إنني ذهبت مع مس شانتري لزيارة الأسوار القديمة التي يرجع تاريخها إلى عهد الحروب الصليبية.. ولم تشعر مارجوري برغبة في مرافقتنا.

فارتفع حاجب بوارو قليلاً.. ولكنه لم يعقب على كلام دجلاس جولد، ولم يكن في استطاعته أن يفعل حتى لو أراد.. ذلك لأن فالنتين شانتري أقبلت عليهما كالريح وهي تصيح بصوت مرتفع:

ـ أريد قدحاً من الويسكي يا دجلاس.. إنني أكاد أموت ظمأً.

فأسرع دجلاس لتلبية طلبها.. وتهالكت فالنتين على مقعد بجوار

بوارو.

كانت موردة الوجنتين: متألقة العينين وتبدو فى أحسن حالاتها.

ورأت زوجها وباميلا مقبلين من الشاطئ فلوحت بيدها وصاحت بصوت مرتفع:

- هل استمتعت بالاستحمام يا عزيزى طونى؟

فلم يجبها الكابتن شانترى.. ومر بها.. دون أن ينظر أو يتحدث إليها.. وقصد إلى (البار).

وبهتت فالنتين وشعرت بالخذلان وتمتمت قائلة:

- يا إلهى.. ماذا به؟

أما باميلا فإن وجهها كان يعبر بصدق عن سرورها بهذا الموقف.

قالت وهى تجلس بجوار فالنتين:

- هل استمتعت بالرحلة إلى الأسوار القديمة؟

ولم ينتظر بوارو حتى يسمع جواب فالنتين، ونهض خلفها.. وقصد بدوره إلى (البار).

وهناك وجد دجلاس جولد فى انتظار إعداد قدح الويسكى الذى طلبته فالنتين.

قال الشاب لبوارو:

- هذا رجل فظ.

وأومأ برأسه نحو الكابتن شانترى.

فقال بوارو:

- ربما.. ولكن لا تنسى أن النساء يحببن الرجل الفظ.

- أكبر الظن أنه يسىء معاملتها.

- لعلها تحب ذلك أيضاً.

فرمقه دجلاس بنظرة تنم عن الحيرة، ثم تناول قدح الويسكى وخرج.

أما بوارو فإنه جلس على أحد المقاعد وطلب قدحاً من عصير الفواكه وراح يرتشفه ببطء ولذة بينما كان الكابتن شانترى يحتسى أقداح الويسكى الواحد تلو الآخر بسرعة عجيبة.

وفجأة.. صاح الكابتن بعنف، وكأنه يتحدث إلى الدنيا كلها وليس إلى بوارو وحده:

- تخطئ فالنتين إذا ظنت أن فى استطاعتها التخلص منه بسهولة كما تخلصت من المغفلين الآخرين.

... إنها لى وسأحتفظ بها، ولن يصل إليها أحد إلا فوق جثتى.

قال ذلك.. ودار على عقبيه وغادر المكان.

* * *

بعد ثلاثة أيام، قصد بوارو إلى قمة جبل فى الجزيرة يطلقون عليه اسم (جبل الرسول)، واستقل لذلك سيارة انطلقت به فى طريق دائرى يتدرج فى الصعود، وتحف به الأشجار المورقة.. إلى أن توقفت فى النهاية أمام مطعم فى القمة.

وغادر بوارو السيارة، وتوغل فى الغابة، وجد فى السير حتى وصل إلى بقعة خيل إليه أنها قمة العالم حقاً.

ونظر إلى أسفل، ورأى البحر بزرقته القاتمة وأمواجه المتلاطمة.. وأحس براحة نفسية لم يشعر بمثلها منذ قدم إلى الجزيرة.. راحة من الناس والمتاعب.. خلع معطفه وطواه بعناية، ووضعه على جذع شجرة وجلس.

ولكن لم نمض بضع دقائق حتى رأى امرأة ضئيلة الجسم ترتدى معطفاً رمادياً تهرول نحوه.

وكانت هذه المرأة هى ماجورى جولد، ولكنها فى هذه المرة لم تحاول التظاهر بغير الحقيقة وتركت الدموع تتسال على وجها.

ولم يستطع بوارو الإفلات منها.. لأنها وصلت إليه قبل أن يتمكن من مغادرة مكانه.

هتفت تقول:

ـ مسيو بوارو... أرجوك أن تساعدنى.. إننى امراه شقية ولا أعرف

ماذا يجب أن أفعل.. يا إلهى!! ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

ورفعت إليه وجهاً ارتسم عليه الأسى بكل معانيه.. ومدت يدها وأمسكت بساعده كالغريق الذى يتعلق بقشة.. ولكنها رأت فى وجهه شيئاً فتركت ساعده.. وتراجعت قليلاً غمغمت قائلة:

ـ ماذا؟ ماذا بك؟

ـ هل تريدين نصيحتى يا سيدتى..؟ أهذا ما جئتنى من أجله؟

فأجابت بلسان متعلثم:

ـ نعم... نعم.

فقال بإيجاز:

ـ حسناً.. إليك نصيحتى.. غادرى هذه الجزيرة فوراً.. قبل فوات الأوان.

فهتفت وهى تحملق فى وجهه فى ذهول:

ـ ماذا؟

ـ هذه هى نصيحتى.

ولكن لماذا؟ لماذا؟

ـ هذه هى نصيحتى لك..إذا كنت تقيمين وزن لحياتك.

ـ ماذا نعنى؟ إنك تخيفنى.. إنك تروعنى.

فقال بلهجة جدية:

ـ نعم.. لقد أردت أن أروعك.

فدفنت وجهها بين كفيها وصاحت فى أسى بالغ:

- ولكنى لا أستطيع.. إنه لن يوافق.. أعنى دجلاس تلك المرأة لن تدعه يرحل.. لقد سيطرت عليه روحاً وجسداً.. وهو يرفض الإصغاء إلى أية حكمة ضدها أنه مفتون بها؟ ويصدق كل ما تقوله عن سوء معاملة زوجها لها.. وعن براءتها من كل ما ينسبونه لها.. وإنها لم تجد قط من يفهمها.. أما هو فقد كف حتى عن مجرد التفكير فى.. لقد أسقطنى من حسابه تماماً كأننى لا وجود لى، وهو يريدنى ان أطلقه وأمنحه حريته.. ويعتقد أنها ستطلق زوجها وتقترن به.. ولكنى خائفة.. أن شانترى لن يتركها.. إنه ليس ذلك الطراز من الرجال.. وأمس.. كشفت تلك المرأة لزوجى عن كدمات فى ذراعها، وقالت إن زوجها ضربها وأساء معاملتها.. فجن جنون دجلاس.. إنه إنسان شهم.. يا إلهى! كيف سينتهى هذا كله.. إننى خائفة فأرشدنى ماذا يجب أن أفعل.

فقال بوارو دون أن يحول عينيه عن ماء البحر:

- لقد قلت لك.. غادرى هذه الجزيرة قبل فوات الأوان.

ولكنها هزت رأسها وصاحت:

- لا أستطيع.. لا أستطيع.. إلا إذا وافق دجلاس.

فتنهد بوارو وهز كتفيه.

* * *

هركيول بوارو يجلس مع باميلا ليول على الشاطئ.. عندما قالت هذه الأخيرة:

إن المثلث الأبدى يزداد قوة.. لقد رأيتهم ليلة أمس، كان أحد الرجلين يجلس إلى يمينها والآخر إلى يسارها وكل منهما ينظر إلى الآخر وشرر الغضب يتطاير من عينيه.. وقد أسرف شانترى فى الشراب وكان واضحاً أنه يتحرش بدجلاس جولد ويحاول إهانته، ولكن دجلاس جولد كان مهذباً وسيماً.. وطبيعى أن فستين كانت تستمتع بما يجرى حولها.. ماذا سيحدث؟

فهز بوارو رأسه ببطء وأجاب:

- إننى مشفق.. مشفق جداً وخائف.

- هذا شعورنا جميعاً.

ثم استطرد بعد صمت قصير:

- يخيل إلى أن هذه القضية من صميم اختصاصك.. أو أنها قد تصبح من صميم اختصاصك.. أفلا تستطيع أن تفعل شيئاً؟

- إننى فعلت ما استطعت.

فسألته فى اهتمام:

- ماذا فعلت؟

- نصحت مسز جولد بمغادرة الجزيرة قبل فوات الأوان.

فقالت ببطء:

- أتظن إذن أن هذا ما سيحدث؟ ولكنه شخص لطيف ولا أظنه يقدم على أمر كهذا.. إن الذنب كله ذنب تلك المرأة فالنتين.. ولكنى لا أعتقد أن الأمر يمكن أن يتطور إلى..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة بصوت خافت:

- إلى جريمة قتل.. أليست (الجريمة) هى ما يدور بخلدك.

- إنها بخلد أحد الناس يا آنسة.. أنا واثق من ذلك.

فمرت فى جسد باميلا رعدة، وتمتمت قائلة:

- أنا لا أظن ذلك.

* * *

كانت الأحداث التى تلاحقت فى ليلة ٢٩ أكتوبر سريعة وواضحة.

وقد بدأت بمشاجرة بين الرجلين.. جولد وشانترى ارتفع خلالها صوت شانترى بالتدريج حتى وصلت آخر عباراته إلى آذان أربعة أشخاص هم مدير الفندق والصراف والجنرال بارنز وباميلا ليول.. كان يصيح بجولد قائلاً:

- أيها الخنزير القذر.. إذا كنت أنت وزوجتى تظنان أنكما

تستطيعان خداعى فأنتما واهمان.. أن فلنتين ستظل زوجتى ما دامت على قيد الحياة.

واندفع إلى خارج الفندق ووجهه محتقن غضباً.

حدث ذلك قبل العشاء..

وبعد العشاء.. تم الصلح بين الرجلين ولا يعلم أحد كيف تم، ودعت فالنتين السيدة مارجورى جولد إلى نزهة بالسيارة فى ضوء الفجر، وذهبت باميلا وسوزان معهما.

أما جولد وشانترى فإنهما تخلفا فى الفندق ليلعبا (البلياردو).. وبعد ذلك لحقا بمسيو بروار والجنرال بارنز فى بهو الفندق.

ولأول مرة، كان شانترى مرحاً مبتسماً وعلى وجهه دلائل الارتياح.

سألهما الجنرال:

- هل استمتعتما باللعب؟

فقال شانترى وهو يومىء برأسه نحو دجلاس جولد:

- هذا الشاب أمهر منى كثيراً.

فقال دجلاس فى تواضع:

- كان مجرد حظ.. ماذا تشربون.. إننى سأنطلق فى البحث عن الخادم.

فقال شانترى:

ـ قدح ويسكى ولك الشكر..

ـ وأنت يا جنرال؟

ـ نفسى الشيء.

ـ وأنا أيضاً أريد قدح ويسكى.. وأنت يا مسيو بوارو؟

عصير فاكهة إذا تفضلت.

وانطلق دجلاس ليأمر باحضار الشراب، بينما تهالك شانترى على أحد المقاعد.

وعلى الرغم من أن شانترى لم يكن رجلاً اجتماعياً أو محدثاً لبقاً فإنه بذل قصارى جهده لكى يقف على قدم المساواة مع الآخرين.

قال:

أليس عجيباً أن يتعود الإنسان بمثل هذه السرعة على الحياة [illegible].

فقال ال[illegible]

ـ وما قيمة الـ[illegible] إذا كانت ترد بعد أربعة أيام من صدورها.

ـ هل تعتقد أن الحكومة ستحل البرلمان وتجرى انتخابات جديدة بسبب المشكلة الفلسطينية؟

- لا شك أن الحكومة تخبطت فى معالجة هذه المشكلة.. ولكنى لا أظن أنها ستحل مجلس النواب.

وفى هذه اللحظة، عاد دجلاس جولد وخلفه خادم يحمل أقداح الشرب.

وراح الجنرال يسرد بعض الطرائف عن فترة عمله فى الهند وأصغى إليه الآخرون فى أدب ولكن بغير اهتمام.

وقبل أن يفرغ الجنرال من حديثه.. عادت النساء الأربع من نزهتهن فى ضوء القمر وهن يتحدثن ويضحكن وتبدو عليهن دلائل السرور والانتعاش.

وصاحت فالنتين وهى تتهالك على مقعد بجوار زوجها.

- طونى، يا حبيبى.. لقد كانت نزهة موفقة إلى أقصى حد.. والفضل فى ذلك للعزيزة مسز جولد صاحبة الفكرة.. كان يحسن بكم جميعاً أن تأتوا معنا.

فقال زوجها وهو ينقل بصره بين السيدات متسائلاً:

- ما رأيكن فى قدح من الشراب؟

فقالت فالنتين:

- أريد قدحاً من الويسكى.

وقالت باميلا:

ـ إننى أفضل قدحاً من الحبة (البيرة).

وقالت سوزان:

ـ أما أنا فأريد قدحاً من عصير الفاكهة.

فقال شانترى وهو ينهض:

ـ حسناً..

وقدم قدح الويسكى الذى جاءه به دجلاس جولد إلى زوجته قائلاً:

خذى أنت هذا القدح.. وسأطلب لنفسى قدحاً آخر.. وأنت يا مسز جولد.. ماذا تطلبين؟

وكان دجلاس يساعد زوجته على خلع معطفها فالتفتت إلى الكابتن شانترى وقالت:

ـ أريد قدحاً من عصير البرتقال إذا تفضلت.

ـ حسناً.. قدح من عصير البرتقال.

وغادر البهو..

وتطلعت مارجورى إلى وجه زوجها وقالت وهى تبتسم:

كانت نزهة جميلة يا دجلاس، ليتك جئت معنا.

ـ كنت أتمنى ذلك.. على أننا سوف نخرج للنزهة مرة أخرى..

أليس كذلك؟

وابتسم كل منهما للآخر.

وتناولت فالنتين قدح الويسكى وتجرعته دفعة واحدة ثم تنهدت وقالت:

- آه... كم كنت بحاجة إلى هذا الشراب!!

وتناول دجلاس معطف زوجته ووضعه على أحد المقاعد، ثم استدار لينضم إلى الآخرين، ولكنه جمد فى مكانه فجأة وهتف:

ماذا... ماذا حدث؟

ذلك أنه رأى فالنتين شانترى تستلقى متراخية فى مقعدها، وتضع يدها على قلبها وقد تحول إحمرار شفتيها إلى زرقة قاتمة.

تمتمت وهى تناضل لتلتقط أنفاسها:

- أحس... أحس بشعور غريب.

وكان زوجها قد عاد فصاح وهو يسرع الخطى.

- فالنتين!! ماذا بك؟

- لا أعلم.. هذا الشراب كان مذاقه غريباً.

- الويسكى؟

واستدار بسرعة وشرر الغضب يتطاير من عينيه وأمسك بكتفى

جولد.

ـ جولد.. إنك جئتنى بهذا القدح لأشربه.

فماذا وضعت فيه بحق الجحيم؟

وكان جولد يحملق إلى فالنتين ووجهها المستلقى، ففر لونه.

وأنزلقت فالنتين من مقعدها، وسقطت على الأرض، فصاح الجنرال بارنز.

ـ استدعوا طبيباً... بسرعة..

ولكن فالنتين شانترى أسلمت الروح بعد خمس دقائق.

* * *

لم يذهب أحد من النزلاء إلى البحر فى اليوم التالى.

ومرت باميلا ليول بمسيو بوارو ببهو الفندق وكانت ترتدى ثوباً بسيطاً داكناً، فأمسكت بساعد البوليس السرى البلجيكى وذهبت به إلى القاعة الصغيرة المخصصة لكتابة الرسائل.

قالت:

ـ هذا مخيف.. مخيف.. أنت قلت ذلك وتوقعت أن تحدث جريمة قتل.

فأحنى رأسه بحزن ولم يجب.

وضربت باميلا الأرض بقدمها وقالت:

- كان ينبغى عليك أن تمنع وقوع هذه الجريمة، كان من الممكن منعها بطريقة أو بأخرى.

- كيف؟

- ألم يكن بوسعك أن تذهب إلى البوليس:

- وماذا أقول لهم: ماذا كان يمكن قوله قبل الحدث؟ هل أقول لهم أن فى نية أحدهم أن يرتكب جريمة قتل؟ أصغى إلى يا ابنتى.. عندما يقرر شخص ما أن يقتل شخصاً آخر.

فقالت باميلا بإصرار:

- كان فى استطاعتك أن تحذر الضحية.

- التحذيرات لا تجدى فى بعض الأحيان.

فقالت باميلا ببطء:

- كان فى مقدورك أن تحذر القاتل، وأن تقول له أنك تعرف ماذا ينوى عمله.

فأومأ بوارو برأسه علامة الموافقة وقال:

- نعم.. هذا رأى أفضل.. ومع ذلك فإنه ينبغى عليك فى هذه الحالة أن تقاومى أهم رذيلة فى القاتل.

ـ وما هى؟

ـ الغرور، إن المجرم لا يصدق أبداً أن جريمته يمكن أن تفشل.

فصاحت باميلا..

ـ ولكن هذا هراء... إنها جريمة صبيانية وقد ألقى البوليس القبض على دجلاس جولد على الفور.

فقال بوارو وهو مستغرق فى التفكير:

ـ نعم.. إن دجلاس جولد شاب غبى.

ـ غبى إلى درجة لا يصدقها عقل.. وقد سمعت أنهم وجدوا باقى كمية السم.. ما نوع السم؟

ـ ستروبانتين.. وهو سم للقلب.

ـ سمعت أنهم وجدوا الكمية المتبقية من هذا السم فى جيب ردائه.

ـ هذا صحيح.

ـ يا له من غبى!! لعله كان ينوى التخلص من الكمية المتبقية.. ولكن الصدمة التى أصابته أثر مصرع الشخص الخطأ أذهلته وشلت تفكيره وحركته.. يا له من منظر جدير بمسرحية ناجحة!! العاشق يضع السم فى قدح الزوج.. ثم يغفل عن مراقبة القدح فتتناوله الزوجة وتشربه بدلاً من زوجها.

تصور اللحظة المخيفة، حين استدار دجلاس جولد فوجد أنه قتل المرأة التى يحبها.

ومرت بجسدها رعدة، ومضت تقول:

ـ المثلث الخالد.. من كان يظن.. أنه سينتهى على هذا النحو؟

فتمتم بوارو قائلاً:

ـ إننى كنت أتوقع ذلك وأخشاه.

ـ تقول إنك حذرت مسز جولد، فلماذا لم تحذره هو أيضاً؟

ـ تعنين لماذا لم أحذر دجلاس جولد؟

ـ كلا.. أعنى لماذا لم تحذر الكابتن شانترى، كان بوسعك أن تقول له أنه فى خطر.. فقد كان هو العقبة الحقيقية بين دجلاس وفالنتين.. وأنا واثقة أن دجلاس جولد كان مطمئناً إلى أنه يستطيع إرهاب زوجته وحملها على طلب الطلاق.. إنها امرأة مسكينة ضعيفة وتحبه بجنون.. أما شانترى فإنه كان من طراز آخر.. وكان مصمماً على أن لا يمنح فالنتين حريتها.

فهز بوارو كتفيه وقال:

ـ لم يكن هناك جدوى من التحدث إلى شانترى.

ـ ربما كانت على صواب.. ولعله كان سيقول لك أنه يستطيع الدفاع

عن نفسه وأنك يمكنك أن تذهب إلى الجحيم.. ولكننى أشعر بأنه كان هناك شيء ينبغى عمله.

فقال بوارو ببطء:

- لقد فكرت فى أمر انصح لفالنتين شانترى بمغادرة الجزيرة، ولكنها ما كانت لتصدق ما كنت سأقوله لها.. إنها كانت على جانب عظيم من الغباء.. بحيث لا يمكن أن تصدقنى.. ولقد ذهبت ضحية غبائها.

- لا أظن أنه كانت هناك فائدة من مغادرتها الجزيرة.. لأنه كان يستتبعها.

- من؟

- دجلاس جولد.

- أتعتقدين أن دجلاس جولد كان يمكن أن يتبعها؟.. كلا يا آنسة.. إنك مخطئة تماماً.. إنك لم تفهمى الموقف على حقيقته.. لو أن فالنتين شانترى غادرت الجزيرة لذهب زوجها معها.

فبدت الحيرة على باميلا وقالت:

- هذا أمر طبيعى.

- وحينئذٍ تقع الجريمة فى مكان آخر:

ـ إننى لا أفهمك.

ـ أقول لك أن نفس الجريمة كانت ستقع فى مكان آخر.. أعنى جريمة قتل فالنتين شانترى بيد زوجها.

فحملقت باميلا فى وجهه وهتفت قائلة:

ـ هل تريد أن تقول أن طونى شانترى هو الذى قتل فالنتين؟

ـ نعم.. إنه قتلها تحت سمعك وبصرك، فقد أحضر له دجلاس جولد قدح الويسكى فجلس ووضعه أمامه.. ولما أقبلت السيدات.. رفعنا كلنا رؤوسنا ونظرنا إليهن عبر البهو، وكانت مادة (الاستروبانتين) فى يده، فوضعها فى القدح وقدم القدح لزوجته فى أدب فشربته.

ـ ولكن بقية المادة السامة وجدت فى جيب دجلاس جولد.

ـ ليس أيسر من وضعها فى الجيب بينما كنا جميعاً مشغولين بالمرأة المسكينة.

ومرت دقيقتان قبل أن تلتقط باميلا أنفاسها.

قالت:

ـ إننى لا أفهم شيئاً.. والمثلث أنت نفسك قلت أنه..

ـ قلت أن هناك مثلثاً.. ذلك صحيح.. ولكنك تصورت المثلث الخطأ.. وانخدعت بالتمثيل البارع.. لقد أريد لك.. بل وللجميع أن

يعتقدوا أن كلاً من دجلاس جولد وطونى شانترى يحب فالنتين.. وصدقت أنت كما أريد لك وللجميع أن يصدقوا أن حب دجلاس لفالنتين، ورفض شانترى أن يطلقها، قد حمل دجلاس على دس السم لشانترى، وأن فالنتين شربت السم خطأ.

كل هذا وهم..

فقد كان شانترى يضمر التخلص من زوجته منذ زمن بعيد.. يمقتها وينفر منها بشدة.. وقد لاحظت أنا ذلك منذ البداية أنه تزوجها من أجل مالها.. ولكنه يريد الآن أن يقترن بامرأة أخرى.. ولذلك خطط للتخلص من فالنتين مع الاحتفاظ بأموالها:

- امرأة أخرى!

فقال بوارو ببطء:

- نعم.. امرأة أخرى هى مارجورى جولد الضئيلة الجسم.. كان ذلك هو المثلث الأبدى الذى فهمته أنت على غير حقيقته.. لم يكن الرجلان يهتمان بفالنتين، ولكن غرورهما وخيلاءها بالاضافة إلى تمثيل مارجورى البارع، حمل الجميع على الاعتقاد بأن الرجلين يتنافران من أجل فالنتين.

إن مارجورى جولد امرأة ماهرة جداً.. ولها من صغر حجمها ومظاهر خضوعها جاذبية خاصة أنها من الطراز الذى يرتكب جريمة

القتل بمثل الثبات الذى تشرب به قدحاً من عصير الفاكهة، وقد كانت الخطة مدبرة بدقة وبراعة عظيمتين.

وإلا فحدثينى.. أى دليل لديك على أن دجلاس جولد قد أحب فالنتين شانترى؟ إذا فكرت فى الأمر ملياً لوجدت أنه لا يوجد أى دليل سوى كلام مارجورى جولد وغياب شانترى.. أليس كذلك؟

فصاحت باميلا:

- هذا مخيف!!

- إن شانترى ومسز جولد غاية فى البراعة وقد خطط للقاء هنا وارتكابه الجريمة.. إن مارجورى جولد امرأة جهنمية وشيطان مريد.. إنى لا أتردد فى إرسال زوجها إلى المشنقة دون أن تشعر بندم أو وخز ضمير.

- قد قبض عليه رجال الشرطة وذهبوا به ليلة أمس.

هذا صحيح.. ولكن جاء دورى بعد ذلك فأدليت لرجال الشرطة ببعض الحقائق.. صحيح أننى لم أر شانترى حين وضع السم فى القدح.. ذلك لأننى فعلت كالآخرين ورفعت رأسى لأرى السيدات.. ولكنى ما كدت أدرك أن فالنتين شانترى ماتت بالسم حتى شرعت فى مراقبة زوجها، فلم أدعه يغيب عن عينى.. وهكذا استطعت أن أراه حين دس الكمية الباقية من السم فى جيب دجلاس جولد.

وصمت قليلاً ثم قال:

- إنى شاهد يعتد بأقواله، واسمى معروف.

فلم يكد رجال الشرطة يسمعون أقوالى حتى بدأو ينظرون إلى القضية من زاوية مختلفة.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- إنهم ألقوا على الكابتن شانترى بضعة أسئلة فحاول الانكار فى البداية ثم إنهار تماماً.

- وهكذا أطلقوا سراح دجلاس جولد؟

- نعم.

- ومارجورى جولد؟

فقال بوارو بشىء من الصلابة:

- إننى حذرتها.. عندما قابلتنى على قمة الجبل، كانت تلك هى الفرصة الوحيدة لتجنب الجريمة.

... قلت لها ما معناه بصراحة أننى أرتاب فيها، وقد فهمتنى ولكنها توهمت أنها بارعة جداً.. طلبت إليها أن تغادر الجزيرة إذا كانت تقيم وزناً لحياتها، ولكنها آثرت البقاء.

* * *

جريمة القطار

كانت الساعة الخامسة والدقيقة ٣٢ تماماً من مساء يوم الجمعة ٩ ديسمبر، عندما تسلم ناظر محطة (ايترلى) الإشارة التالية من محطة فوريست هيل:

«قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ القادم من لندن قد مر الآن، إحدى مركبات الدرجة الأولى مظلمة تماماً، ابحثوا عن الأسباب».

وقرأ ناظر المحطة هذه الإشارة وعقب عليها بقوله:

- لابد أن «الكوبس» احترق، أو يكون أحد الأسلاك قد أصابه تلف.

ثم التفت إلى مساعده وقال:

- احضر مصباحاً يا ويب.. وأسرع، فإن القطار سيصل بعد لحظات.. إن أى تلف فى جهاز الإضاءة لن يتيسر إصلاحه إلا فى محطة كرويدن.. ولا سبيل إلا أن نزود المركبة بمصباح غاز لاضاءتها إلى أن تصل إلى كرويدن.

قال ذلك وتناول مصباحاً ليستعين به فى سيره، فقد كان الضباب كثيفاً مما زاد الظلام حلكة.

وانتقل الناظر إلى الرصيف الأخير عبر النفق الذى يمر تحت القضبان الحديدية، واستعد لاستقبال القطار..

ووصل القطار فى الوقت المحدد تماماً، أى فى الساعة الخامسة والدقيقة ٤٢، وكانت هذه أول محطة يتوقف فيها منذ بدء رحلته من لندن.

وكانت العربات غاصة بالركاب إلى حد الاختناق كما هى العادة، وما أن توقف القطار حتى نشطت الحركة فى المحطة وتدفق الركاب من وإلى العربات، بينما هرول الناظر ومساعده على الرصيف وبيد كل منهما مصباح لتفقد النور فى المركبات، وأخيراً صاح ناظر المحطة:

- هاهى المركبة المظلمة.

وأدهشه أنه لم يجد أحداً من المسافرين يطل من نافذة المركبة ويحتج ويشكو من حالة الظلام:

- قال:

- يخيل إلى أن المركبة خالية من المسافرين، وهو أمر غير مألوف فى قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ .. هلم بنا يا ويب.

وهم بالصعود إلى المركبة، ولكنه فوجىء ببابها مغلقاً، وعليه لوحة صغيرة تحمل كلمة: «محجوزة».

فهتف:

- ما معنى هذا؟ أين مفتاحى؟

وبحث فى جيبه حتى عثر على المفتاح الذى يستخدم فى فتح أبواب المركبات كافة.. ففتح باب المركبة وقال يحدث مساعده:

- دعنا نفحص مصابيح المركبة.

وصعد إلى المركبة، وحرك مصباحه فى يده ليبدد الظلام الذى يخيم بداخلها.

ونظر فإذا بالنجفة المثبتة بسقف المركبة محطمة، واللمبات الكهربية الثلاث مفقودة.

وأجال البصر حوله فرأى حطام النجفة واللمبات الثلاث على أحد المقاعد، ووقع بصره فى المقعد المقابل على...

أفلتت من فمه صيحة ذعر، وتراجع إلى الوراء خطوة أو خطوتين فى هلع..

ذلك أنه رأى فى ذلك المقعد، جثة رجل جالس ووجهه نحو القاطرة، وقد انحنى جسده إلى الأمام، وتدلى من يده مسدس، بينما كان بين عينيه ثقب عميق لا شك أنه من أثر رصاصة أطلقت على الرأس.

جمد ناظر المحطة فى مكانه لحظة، ثم تمتم حالما استرد أنفاسه:

- انتحار..

وأسرع بالخروج، وأعاد غلق الباب، وأمر ويب أن يقف حارساً على المركبة، ثم انطلق لينبئ سائق القطار ويخطر البوليس المحلى.

قيل فى الأمثال: رب صدفة خير من ألف ميعاد، وقد شاءت الصدفة أن يكون مستر مافريك ناركوم، المفتش بإدارة اسكتلنديارد، أحد المدعوين إلى حفل أقيم تكريماً لعمدة «أينرلى».

وعندما اكتشف ناظر المحطة الحادث، كان مستر ناركوم وبعض المدعوين يقفون على الرصيف الأخير فى انتظار القطار الذى سيعود بهم إلى لندن، وكان ناركوم يتوقع أن يلتقى فى ذلك القطار بصديقه هركيول بوارو.. البوليس السرى البلجيكى القصير القامة الأصلع الرأس.

وما أن علم مفتش البوليس بالحادث حتى انتقل إلى الرصيف الأخير وأعلن شخصيته وشرع فى العمل، وعندما وصل رجال البوليس المحلى، كان ناركوم قد ألم بتفصيلات الحادث، وقام ببعض الأبحاث.

كان أول ما فعله، أنه بحث عما إذا كان هناك اسم مكتوب فى اللوحة التى تعلن أن المركبة محجوزة... وقد وجد مثلاً ذلك الاسم مكتوباً بقلم أزرق.

وقرأ فى اللوحة:

«محجوزة... للورد ستافورنيل».

وهتف:

- يا إلهى!!!

كان الاسم معروفاً جداً... فلطالما تحدثت الصحف عن هذا اللورد ومباذله، وانحلاله وسوء طباعه.

تمتم المفتش قائلاً:

- لقد لقى حتفه أخيراً.

ثم التفت إلى ناظر المحطة وقال:

- أعطنى مصباحك وافتح باب المركبة، ودعنا..

ولم يتم عبارته، فقد دوى فى تلك اللحظة صفير القطار المتجه إلى لندن... واقترن الصفير بجلبة شديدة، فأسرع المفتش إلى الانتقال إلى الرصيف الآخر عبر النفق، ووجد بوارو يطل من نافذة إحدى مركبات القطار القادم، فهرول إليه، ودار بين الرجلين حديث سريع، انتهى بان وثب بوارو إلى الرصيف قبل أن يتحرك القطار ويستأنف رحلته إلى لندن.

* * *

وبعد قليل، كان ناركوم وبوارو يجتازان النفق وهما يتحدثان بصوت خافت، وعندما وصلا إلى المركبة المظلمة، وجدا رجال البوليس المحلى بقيادة أحد الضباط يقومون بحراستها، فقال ناركوم يحدث الضابط:

- دعنى أقدم لك مسيو بوارو... لابد أنك سمعت عنه فتبادل الرجلان التحية، وقال ناركوم:

ـ أرجو أمدادنا بأكبر طاقة من النور... فإن مسيو بوارو يريد إلقاء نظرة على الجثة.. كما أرجو أن تأمر رجالك بمحاصرة المركبة ومنع المسافرين من الاقتراب منها.

والتفت إلى ناظر المحطة وقال:

ـ قل لسائق القطار أننى سأصدر إليه تعليماتى بعد لحظة.

وفتح بوارو باب المركبة ودخل، وألقى على الجثة نظرة سريعة وقال:

ـ هذه جريمة قتل.. انظر إلى وضع المسدس فى يده.. إنه مقلوب.. ولكن صبراً لحظة.. أريد أن أتأكد.

وتناول المسدس من يد الجثة بسهولة.. ورفع فوهته إلى أنفه، ثم فتحه ونظر إلى مخزن الرصاصات وابتسم وقال يحدث ناركوم:

ـ تماماً كما توقعت.. لقد أطلقت من هذا المسدس رصاصة واحدة، ولكنها لم تطلق اليوم.. أو أمس، وإنما أطلقت منذ يومين أو أكثر.. الرائحة تقول ذلك يا مستر ناركوم.. إنها جريمة قتل لا شك فيها.. وقد أعد القاتل عدته بدقة تامة.

فحملق ناظر المحطة نحوه فى ذهول وقال:

ـ ولكن يا سيدى.. إذا كان هناك قاتل.. فأين ذهب؟ إن القطار لم يتوقف فى أية محطة منذ قيامه من لندن... وعلى فرض أن القاتل استقل القطار من لندن، فكيف غادره؟

فقال ويب:

ـ لعله وثب من النافذة، أو وقف على سلم المركبة حتى أبطأ القطار فى سيره قبل وصوله إلى هذه المحطة، ثم وثب إلى الأرض وتوارى فى الحقول.

فقال ناظر المحطة:

ـ هراء.. عندما اكتشفنا الجثة، كان باب المركبة مغلقين.. وكذلك كانت النافذتان.. إنك رأيت ذلك بنفسك كما رأيته.

فقال ويب:

ـ هذا صحيح... إذن أين ذهب القاتل؟ وكيف؟

وفى هذه الأثناء، كان بوارو يفحص الجثة، فرفع رأسه فجأة وقال يحدث ناظر المحطة:

ـ أرجو أن تأمر رجالك بفحص جميع التذاكر.. أعنى تذاكر الركاب الذين مازالوا فى القطار.. أو الذين غادروه فى هذه المحطة.. فإذا وجدوا تذكرة لم تثقب فى محطة لندن عند الدخول فليحجزوا صاحبها.. وأنا شخصياً سأقوم بفحص تذاكر القادمين إلى هذه المحطة، وفى الوقت نفسه، أرجوك الاتصال بجميع المحطات بين هنا ولندن، لمعرفة ما إذا كان هناك عامل إشارة آخر غير عامل الإشارة فى محطة (فوريست هيل) قد لاحظ الظلام فى هذه المركبة أثناء مرور القطار بمحطته.

وقد تم تنفيذ كل ذلك على وجه السرعة، وظهر ان جميع التذاكر قد ثقبت فى محطة لندن لدى دخول الركاب، وأن عمال الإشارة فى جميع المحطات، فيما عدا (فوريست)، لم يلاحظوا إظلام أية مركبة من المركبات أثناء مرور القطار بمحطاتهم.

فقال بوارو:

ـ هذا يضيق نطاق البحث يا مستر ناركوم، إذ يستدل منه أن نور المركبة قد أطفئ فى الطريق بين محطتى (أوك بارك) و (فوريست هيل).

ثم التفت إلى ضابط البوليس المحلى وقال:

ـ أريد منك معروفاً.. ضع بعض رجالك فى هذه المركبة ودع القطار يواصل رحلته.. إن المحطة التالية هى محطة (نوروود).. وأعتقد أن بها تحويلة.. فمن الممكن فصل هذه المركبة هناك وتركها على القضبان الجانبية.. تحت حراسة رجالك إلى أن ألحق بكم أنا ومستر ناركوم.

ـ حسناً يا سيدى.. هل هناك تعليمات أخرى؟

ـ نعم، دع ناظر محطة (نوروود) يرسل إلينا عربة ترولى مزودة بمصابيح كشافة.. فإننى أريد ارتياد الطريق من هنا إلى محطة (أوك بارك).. فإذا كان أحد قد غادر القطار فى هذا الطريق، فإننا لابد أن نجد آثار أقدامه واضحة فوق الثلوج التى تغطى الأرض.

* * *

بعد نحو عشرين دقيقة، جاءت عربة الترولى يقودها اثنان من عمال محطة (نوروود)... ونزولاً على إرادة (ناركوم) أبرق ناظر المحطة إلى محطة لندن لايقاف جميع القطارات لمدة نصف ساعة لمصلحة التحقيق الذى يقوم به مفتش اسكتلنديرد.

ثم استقل بوارو وناركوم عربة الترولى التى انطلقت بهما على شريط السكة الحديد فى اتجاه أوك بارك والمصابيح القوية تكشف الطريق أمامها.

كان هناك أربعة خطوط، خطان فرعيان يربطان لندن بضواحيها ذهاباً وإياباً، وخطان رئيسيان.

وكانت الخطوط الأربعة تتألق تحت ضوء المصابيح الكاشفة، فلم ير بوارو وناركوم بينها أى أثر لأقدام.

قال المفتش فى نهاية الرحلة:

- مما لا شك فيه أن القاتل لم يطأ هذا الطريق بقدمه.

- وأمر العاملين بالعودة بالترولى واستطرد قائلاً:

- هل لك رأى آخر يا مسيو بوارو؟

- كلا.. ولكن مما لا شك فيه أيضاً أنه غادر القطار فى مكان ما، بطريقة ما، وإلا لوجدناه فى المركبة.

- إن المسألة هى: متى غادر القطار، وكيف غادره؟ إننا نعلم من

أقوال الركاب إن القطار لم يتوقف لحظة واحدة بين محطتى لندن وانرلى، ونعلم أن جميع المركبات كانت مضاءة إلى أن مر القطار بمحطة (أوك بارك)... وإن أحداً لم يسمع صوت طلق نارى، وأن القاتل لم ينتقل إلى مركبة أخرى وأن الممر كان غاصاً بالركاب، ولو أنه غادر المركبة لاضطر الركاب المحتشدون فى الممر أن يفسحوا له طريقاً وهو مالم يحدث... وقد أسفرت عملية البحث التى قمنا بها الآن عن عدم وجود أى أثر على الثلوج يدل على أن أحداً قد غادر القطار أثناء سيره فى المنطقة التى نعتقد أن الجريمة حدثت فيها.. وفى أول محطة توقف فيها القطار وهى محطة أنرلى، كانت نافذتا المركبة مغلقتين وكذلك كان باباها.. ولا أثر لقاتل.. فكيف تفسر هذا اللغز أيها الصديق؟ هل أنت واثق تماماً من أن الحادث ليس انتحاراً؟

فابتسم بوارو وأجاب:

- يا عزيزى مستر ناركوم.. أن وضع المسدس فى يد القتيل يقطع الشك باليقين فى هذا الصدد، أضف إلى ذلك أنه لا يوجد أثر لدخان البارود على جبين اللورد، وأن الرجل الذى يريد الانتحار لا يطلق الرصاص بين عينيه.. وإنما يطلقه على صدغه أو سقف فمه.. لأن..

وكف عن الكلام فجأة، ثم ألقى بيده على كتف أحد الرجلين اللذين يقودان عربة الترولى وقال:

ـ عد بنا.

فأوقف الرجلان العربة، ثم انطلقا بها فى الاتجاه المضاد.. إلى أن أمرهما بوارو مرة أخرى بالتوقف، وتوقفت العربة على مقربة من محطة (سيدنهام) كان بوارو طول الوقت يتفحص الطريق الذى يتألق فى ضوء المصابيح الكاشفة، ولم يلبث أن وثب من العربة وسار بضع خطوات، ثم انحنى والتقط شيئاً كان بين القضبان ونظر إليه بإمعان ثم طوى يده عليه.

كان ذلك الشيء هو مفتاح معدنى لامع، طوله نحو سبعة سنتيمترات، من نوع المفاتيح التى تستخدم فى فتح أبواب مركبات السكك الحديدية.

كانت نظرة واحدة إلى المفتاح تدل على أنه جديد.

قال بوارو وهو يبسط يده بالمفتاح:

ـ مهما يكن من أمر القاتل، فإنه غادر القطار فى هذه البقعة.. فسقط منه المفتاح.. أو لعله ألقى به على الأرض ليتخلص منه.. بعد أن استخدمه فى غلق باب المركبة.. ومع ذلك فإنه لا توجد على الأرض آثار أقدام.. ولكن هناك شيء مؤكد هو أن المكان الذى وجد فيه المفتاح بين القضبان يدل على أن القاتل قد غادر القطار من الجانب الآخر.. أى الجانب الذى لا يكون بمحاذاة الرصيف عندما يتوقف القطار فى

المحطات.

فصاح ناركوم قائلاً:

- يا لها من فكرة جنونية!! لو أن قطاراً آخر مر على القضبان المجاورة لمزقه أربا.. خاصة وأن القطارات تسير فى هذه المنطقة بأقصى سرعتها.. ولا تبطئ إلا عندما تقترب من (كرويدن).

فقال بوارو وهو يتأمل المفتاح:

- نعم.. ثم إن قوة الامتصاص تكون على أشدها بين قطارين مسرعين، فإذا تواجد إنسان بين القطارين فإن عجلات أحدهما تلتهمه فى غمضة عين.. وما دام القاتل لم يسقط تحت العجلات.. فذلك يدل على أنه لم تكن هناك قطارات أخرى على القضبان المجاورة.

ثم قطب حاجبيه فجأة وقال:

- أظن أننا توصلنا إلى كل ما يمكن التوصل إليه يا مستر ناركوم، ويحسن بنا الآن أن نعود إلى محطة نوروود لكى أعيد فحص المركبة والجثة.

- هل طرأت لك فكرة جديدة؟

- بل عدة أفكار.. ولكنها جميعاً قد لا تسفر عن شىء بعد نصف ساعة..

- ماذا تعنى؟

- إننى سأغادر هذه العربة فى محطة (سيدنهام) لكى أتصل تليفونياً بمحطة لندن.. فثمة بعض أمور أريد الاستفسار عنها.. وسوف استأجر إحدى السيارات لألحق بك فى (نوروود) بعد ساعة.. وأرجو ألا تدع أحدا يدخل المركبة أو يعبث بالجثة قبل أن أصل.. ومسألة أخرى.. لا أدرى هل خانتنى الذاكرة أم لا.. ولكن أليس اللورد ستافورنيل هذا هو صاحب المغامرة المشهورة مع الراقصة الفرنسية فيفى دى لابار التى أثارت ضجة كبيرة فى لندن فى العام الماضى؟

فأجاب ناركوم:

- نعم، هو نفس الشخص، لقد كان طول حياته إنساناً فاسداً لا خلاق له، ولم تكن الآنسة فيفى خيراً منه، فإنها ما كادت تظفر بالشهرة وترى رجالاً من أمثال ستاغورنيل يتهالكون عليها ويخطبون ودها حتى نبذت زوجها، وقد أخطأ الزوج حين وقف موقف المتفرج بدلاً من أن يضرب اللورد ويحطم ضلوعه.. فقد أقدم اللورد بعد ذلك على لعبة قذرة، أرغمت الزوج الفرنسى التعس على مغادرة البلاد، وذلك بأن أوعز إلى المتاجر التى تتعامل فيها معها بمطالبة الزوج بديون زوجته.. ولما كان الرجل فقيراً رقيق الحال، فإنه اضطر إلى مغادرة البلاد فراراً من الدائنين.

وقد آثار هذا الحادث ضجة كبيرة فى ذلك الوقت، وعلى الرغم من أن القصة لم تنشر فى الصحف إلا أن الفضيحة كانت من الضخامة

بحيث اضطرت زوجة اللورد ستافورنيل إلى هجره ورفضت الإقامة ساعة أخرى مع رجل مثله.

ـ آه.. إذن فهو متزوج؟

ـ نعم، وزوجته من أجمل نساء إنجلترا.. ولم يكن قد مر على زواجهما أكثر من عام عندما حدثت فضيحة (فيفى) وقد كان وراء قصة زواجه لعبة أخرى من ألاعيبه القذرة، اضطرت المرأة المسكينة إلى الاقتران به.

ـ هل اقترنت به على الرغم منها؟

ـ نعم.. كانت أصلاً مخطوبة لضابط شاب يعمل فى الهند، وكان والدها أيضاً ضابطاً فى الجيش.. ولكنه أفقر من فأر الكنيسة، وقد أدمن الشراب والقمار والمراهنات، وكان فظاً غليظ القلب، وأنانياً إلى أبعد الحدود.

وقد نفرت ابنته من اللورد ستافورنيل حين وقع بصرها عليه لأول مرة، وكانت تعرف الكثير عن مباذلة ونزواته وسوء خلقه فرفضت أن تستقبله.. ولهذا قرر الاقتران بها لكى يذلها ويحطم كبرياءها.. فأوقع أباها فى براثنه.. وأقرضه النقود بغير حساب، واستكتبه صكوكاً بمبالغ جسيمة خسرها معه فى القمار.. إلى أن غرق الكولونيل العجوز فى الديون، واستحال عليه السداد.

وهنا بدأ اللورد يطالب بنقوده، ثم وافق أخيراً على النزول عنها إذا رضيت به ابنة الكولونيل زوجاً لها.

وذهب الرجلان إلى الابنة المسكينة كذئبين جائعين.. واستعرضا الموقف أمامها..

إن أباها معرض لفضيحة ستعصف به عصفاً.. إنه سيطرد من الجيش ومن سائر المنتديات، بل ومن المجتمع المحترم كله.. وسيقضى بقية حياته فى فقر مدقع مالم تتقدم هى لانقاذه بالموافقة على الاقتران باللورد.

ومازال الاثنان يضربان على هذا الوتر حتى اضطرت المسكينة فى النهاية إلى الموافقة.

وتم الزواج..

ولكن حياتها صارت بعد ذلك جحيماً لا يطاق.. لأن اللورد لم يكن يعبأ بها أو يقيم لشعورها وزناً.

لقد اقترن بها لمجرد الرغبة فى الانتقام منها وإذلالها.. ويقال أنهما ما كادا يعودان من رحلة شهر العسل حتى بدأ يسومها العذاب.

فقال بوارو بلهجة الرثاء:

- مسكينة!!! وماذا حدث لخطيبها الأول.. ذلك الضابط الشاب الذى كان فى الهند خلال هذه الأحداث؟

ـ لقد جن جنونه عندما علم بما حدث.. أقسم أن يقتل ستافورنيل ولكنه هدأ مع مرور الوقت.. ورضخ للأمر الواقع.. إنه يدعى الكابتن كروفورد.. وقد علمت أنه عاد إلى إنجلترا مؤخراً.. وأنه مازال يحب الليدى بجنون.. وبلا أمل.

ـ ولماذا بلا أمل؟ إن سلوك اللورد يهيئ لزوجته أكثر من فرصة لطلب الطلاق.

ـ هذا لا شك فيه... وليس فى إنجلترا قاض واحد لا يمنحها الطلاق إذا هى طلبته... ولكن الليدى امرأة متدينة لا تعترف بالطلاق، ولا توجد أية قوة تستطيع إقناعها بالاقتران بالكابتن كروفورد طالما أن زوجها الأول على قيد الحياة.

ـ آه... إذن فإن زوج فيفى ليس الشخص الوحيد الذى يحقد على اللورد ويتمنى هلاكه... هل للورد أعداء آخرون؟

ـ هنالك عشرات.. إنه كسب عداوة كل شخص اتصل به.. ولا يوجد، فيما أعلم، سوى شخص واحد يذكره بالخير.

ـ ومن يكون هذا الشخص؟

ـ مسز برينكوبرث.. أرملة شقيقة الأصغر.. الذى كان بدوره رجلاً متلافاً، وقد تركها غارقة فى الديون إلى أذنيها دون أى إيراد تنفق منه على نفسها وطفلها الذى كان وقتئذٍ فى الخامسة من عمره، وكان

ستافورنيل يميل إليها، فخف إلى نجدتها، ودفع كل ديونها ورصد لنفقاتها مبلغاً سنوياً لا بأس به، وأنفق على تعليم ابنها، ولما كبر الابن، ألحقه بكلية أيتون، وإذا كانت فى ستافورنيل بقية من خير، فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى هذا الشباب، فقد كان ستافورنيل يحبه من كل قلبه.. ربما لأنه لم يرزق ولداً من صلبه.. ولكن صبراً لقد أصبح هذا الشاب هو الوريث الوحيد لثروة اللورد.. يا إلهى!! كيف لم أفطن إلى ذلك.. حقاً أنها ضربة حظ بالنسبة إلى هذا الشاب.

فقال بوارو:

- نعم.. إنها ضربة حظ بالنسبة إليه.. وكذلك بالنسبة إلى الليدى ستافورنيل.. والكابتن كروفورد ولكنها ضربة قاصمة لمسز برينكويرث ومدموازيل فيفى دى لابار.

- معنى ذلك أنه كان هناك ثلاثة رجال على الأقل يهمهم أن يموت اللورد، أولهم زوج الراقصة فيفى، الذى يحقد عليه لأنه حطم حياته الزوجية، والثانى هو الكابتن كروفورد، الذى يريد الاقتران بالليدى، والثالث هو ابن أخيه الشاب، الذى يرث كل ثروته... وأنا لا أستبعد أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة هو القاتل.

قال بوارو:

- ها نحن قد وصلنا إلى (سيدنهام)... إلى اللقاء يا مستر ناركوم..

سألحق بك فى محطة نوروود فى أسرع وقت ممكن.. وبهذه المناسبة.

ـ نعم.

ـ أرجو أن تستفسر من محطة (لوليفيل)، وهى آخر محطة فى سكك حديد ضواحى لندن، عما إذا كان أحد الركاب قد نسى تابوتاً أو منضدة خشبية من النوع الذى يستخدم فى كى الملابس.

* * *

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة عندما وصل بوارو إلى محطة نوروود.

كان هادئاً ثابت الجنان كالعهد به دائماً، وقد وجد المفتش ناركوم فى انتظاره فى غرفة صغيرة خاصة وضعها ناظر المحطة تحت تصرفه.

وقد وثب ناركوم من مقعده حالما رأى بوارو وهتف:

ـ كم أنا سعيد بمقدمك... كنت أنتظرك على أحر من الجمر فهناك أشياء كثيرة أريد أن أحدثك عنها.. أولها أننا تحققنا بما لا يدع سبيلاً للشك من أن القتيل هو اللورد ستافورنيل وثانيها أننا أبرقنا إلى أقاربه لنخطرهم بمصرعه، فأجابت الليدى ستافورنيل ومسز برينكويرت بأنهما فى طريقهما إلى هنا، وأنا أتوقع وصولهما بين لحظة وأخرى.. بيد أن النبأ الذى قد يهمك أكثر من سواه، هو أن زوج الراقصة فيفى موجود حالياً فى لندن، فقد ذكرت مسز برينكويرث فى

برقيتها أنها رأته فى لندن صباح اليوم.

فصاح بوارو:

- أحقاً!! يخيل إلى أنها امرأة على جانب عظيم من الذكاء.. ولكن حدثنى هل وجدت شيئاً فى محطة (لوليفيل)؟

- نعم يا مسيو بوارو.. والواقع أننى لا أعرف هل أنت عبقرى أم ساحر.. ماذا جعلك تطلب الاستفسار من هذه المحطة عن شيء مفقود؟

- ماذا وجدوا؟ تابوتاً أو منضدة لكى الملابس؟

- لا هذا ولا ذاك، ولكنهم وجدوا مائدة خشبية من النوع الذى تستخدمه السيدات فى تفصيل الملابس، أعنى مائدة يمكن طيها ونقلها بسهولة.. وقد وضعوها فى مخزن الأشياء المفقودة لأنهم لا يعرفون صاحبها.. لقد وجدوها فى..

فقاطعها بوارو قائلاً:

- أظن أننى أعرف أين وجدوها.. إنهم وجدوها فى إحدى مركبات الدرجة الأولى فى القطار الذى يغادر لندن فى الساعة الخامسة و١٨ دقيقة، ويصل إلى (لو ليفل) فى الساعة الخامسة و ٤٣ دقيقة.. كلا.. أرجوك ألا تسأل الآن، هلم بنا إلى المركبة لنلقى نظرة على الجثة.. إن اللغز الذى يحيرنى، هو ماذا كان اللورد ستافورنيل يفعل فى هذا

القطار فى الوقت الذى كان ينبغى فيه أن يكون فى الجناح الخاص، بفندق (ريتز)؟ كذلك يهمنى أن أعرف كيف استطاع الشاب ذو الشارب الأسود الصغير استدراج اللورد إلى ركوب ذلك القطار.

ـ الشاب ذو الشارب الأسود الصغير؟ ماذا تعنى بحق السماء؟

ـ أنك تحدثت عن ثلاثة رجال يحتمل أن يكون أحدهم هو القاتل.. ولكن القاتل الحقيقى هو رجل رابع.. هو ذلك الشاب ذو الشارب الأسود الصغير.

إن حديثى التليفونى مع محطة لندن قد كشف لى عن أشياء كثيرة.. منها أن اللورد ستافورنيل حجز تلك المركبة فى ذلك القطار بالذات فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم بواسطة التليفون، وأنه وصل إلى المحطة منفرداً وغضب غضباً شديداً حين وجد أن المركبة ليست نظيفة، فانتظر على الرصيف حتى تم كنسها وتنظيفها، وقال عامل النظافة أنه عندما فرغ من مهمته وجد اللورد يتحدث ويضحك مع شاب صغير الجسم له شارب أسود، يحمل فى يده معطفاً من الجلد، ولما كان الرصيف مزدحماً بالمسافرين، فإن أحداً لم يبد اهتماماً خاصاً بذلك الشاب، فلم يعرف عامل النظافة أين ذهب، أو متى ذهب، ولم يره بعد ذلك، ولكنى أعرف أين ذهب يا مستر ناركوم بل وأعرف كذلك ماذا كان فى ذلك المعطف، كان فيه مسدس هواء، ومطرقة ملفوفة بقطعة من القماش استخدمت فى تحطيم نجفة

الكهرباء دون أن تحدث صوتاً، وقد ركب الشاب ذو الشارب الأسود مع اللورد فى نفس المركبة.

ـ هب أن ذلك صحيحا، فكيف خرج من المركبة؟ وإلى أين ذهب؟ وماذا كان مصير معطف الجلد؟

ـ أرجو أن أتمكن من الإجابة على هذه الأسئلة قبل انقضاء هذه الليلة يا مستر ناركوم.. أما الآن، فدعنا نلقى نظرة أخرى على الجثة.. فإننى أريد أن أقطع الشك باليقين فى أمر يقلقنى.

وكانت المركبة قد حولت إلى خط جانبى، ووضعت تحت حراسة البوليس.

* * *

وعلى ضوء المصابيح الكاشفة القوية التى أعدها ناظر المحطة، استطاع بوارو أن يرى شيئاً فاته عندما فحص المركبة بسرعة فى المرة الأولى، أو لعله لاحظه ولم يعقب عليه...

رأى فى البساط الأحمر الذى يغطى أرض المركبة بقعة حمراء داكنة فى حجم الطبق، أمام المقعد الذى يقع فى مواجهة مقعد القتيل.

قال وهو يشير إليها:

ـ أظن أن هذه البقعة دليل كاف على أن المركبة كان بها شخص آخر عدا اللورد ستافورنيل.. وهذا الشخص هو بغير شك ذلك الشاب ذو الشارب الأسود الصغير.

إذا وضعت يدك على هذه البقعة فستجد أنها رطبة.. من أثر الثلج الذى علق بحذاء شخص جلس على هذه المقعد بالذات.

انظر.

ومر بمنديله على البقعة ثم بسط المنديل فإذا به قد تلوث بالوحل.

فقال المفتش:

ـ ولكن يا صديقى العزيز.. من الممكن فى يوم كهذا، أن تكون هذه البقعة قد حدثت قبل سفر اللورد.. إذ لا يعقل أن يكون اللورد هو الشخص الوحيد الذى دخل هذه المركبة منذ الصباح.

ـ المفروض أنه الشخص الوحيد الذى دخلها بعد كنسها وتنظيفها.. ولقد كنست المركبة ونظفت تنفيذاً لأوامره قبل أن يتحرك القطار.

إننا الآن قد تجاوزنا مرحلة التخمين.. وأصبحنا على يقين من أن شخصاً آخر كان موجوداً مع اللورد فى هذه المركبة.. وأن اللورد كان يعرف هذا الشخص ويرتاح إليه ولا يجد ضرورة لمجاملته.

ـ وكيف عرفت ذلك؟

ـ من هذه الصحيفة، لقد كان اللورد يقرأ هذه الصحيفة عندما أطلقت عليه الرصاصة.. انظر إلى هذا الثقب الذى فى طرف الصحيفة.

عندما يدعو الإنسان شخصاً آخر للسفر معه فى المركبة التى استأجرها خصيصاً لنفسه ـ وهذا ما فعله اللورد دون شك، ولولا ذلك

ما جرؤ الشاب على دخول المركبة ـ أقول، عندما يدعو الإنسان شخصاً آخر للسفر معه فى مركبته الخاصة، ثم يشرع فى قراءة الصحف بدلاً من أن يجامل ذلك الشخص ويعامله كضيف، فذلك دليل على أن الصلة بين الاثنين قديمة ووثيقة إلى الحد الذى يجعل اللورد يغض الطرف عن مجاملة ضيفه، دون أن يجد الضيف فى ذلك مهانة له.

والآن.. انظر إلى الصحيفة كيف سقطت بين قدمى اللورد.. إنها مقوسة حول ساقه اليسرى.

وحتى لو لم نجد المفتاح.. لكان وضع الصحيفة على هذا النحو كافياً لارشادنا إلى الجهة التى خرج منها القاتل.

ـ كيف؟

ـ إن الصحيفة حين سقطت من يد القتيل، ما كانت لتتخذ هذا الوضع لولا حدوث تيار هوائى قوى، وقد جاء هذا التيار من فتح الباب الذى يقع على يمين القتيل، وكان من القوة بحيث جعل الصحيفة تلتف حول الساق.

وهذا دليل على أن الباب فتح أثناء سير القطار ومن ناحية أخرى فإننا لا نرى أثراً للبارود على جبين القتيل، ولا رائحة للبارود فى فوهة المسدس، رغم أنه مسدس أمريكى عادى عيار ٣٨، كل هذا دليل على أننا أمام قاتل هاو، لا مجرم محترف، قاتل من السذاجة بحيث أتوقع

الانتهاء من هذه القضية قبل انقضاء هذه الليلة.

وإنى لأتساءل، لماذا لم يطلق القاتل هذا المسدس فى صباح اليوم مثلاً لكى تظل فوهته محتفظة برائحة البارود؟

ليس من الضرورى أن يكون الإنسان على جانب عظيم من الذكاء لكى يدرك على الفور أن الجريمة ارتكبت بمسدس هواء وأن اهتمام القاتل بارتكاب جريمته دون أن يحدث جلبة، كان أكثر من اهتمامه بارتكاب الجريمة بحكمة وتعقل.

إنى أعتقد أنه لا يوجد فى لندن كلها أكثر من ثلاثة محلات لبيع مسدسات الهواء، ولا أظن أن هذه المحلات تبيع أكثر من مسدسين فى العام.. ولكنها إذا كانت قد باعت أو أصلحت مسدساً خلال الشهور الستة الأخيرة، فإن صديقى (هاستنجز) سيعرف ذلك وسيخبرنا.. إننى أتصلت به، وطلبت إليه القيام ببعض التحريات.

والآن يا عزيزى مستر ناركوم، أما وقد تبين لنا أن القاتل إنسان ساذج قصير النظر، فإننى لا أستبعد أن يكون قد غفل عن تفتيش ضحيته.. فدعنا نحن نقوم بهذه المهمة.

قال ذلك وانحنى فوق القتيل، وراح يفتش ثيابه، وما لبث أن أخرج من أحد جيوبه الداخلية دفتر مذكرات، وثلاث رسائل بخط نسائى، ولكن رسالة واحدة فقط من بين هذه الرسائل هى التى لفتت نظره،

وأثارت اهتمامه، فراح يفحصها بعناية.

كانت مكتوبة على ورقة وردية اللون، وغلافها يحمل خاتم بريد (كرويدن)، بتاريخ ٩ ديسمبر، الساعة الثالثة والنصف مساء، وعبارة (بالبريد المستعجل).

* * *

قرأ بوارو في الرسالة ما يلي:

«أيها الغبى الكبير.. إن الحفلة التنكرية موعدها الليلة لا غداً، لقد اكتشفت ذلك فجأة، فتعال بسرعة بالقطار الذى يغادر لندن فى الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ وحذار من التأخير، لأننى سأكون فى انتظارك بالمحطة عند وصولك، ولا تهتم بالثوب التنكرى، فعندى لك ثوب.. وقد دبرت لك مقابلة مع شخص سوف تضحك كثيراً عندما تراه.. أحرق هذه الرسالة.

فيفى

ملحوظة: إنى جرحت أصبعى، وقد استكتبت وصيفتى هذه الرسالة، ولذلك أطلب إليك أن تحرقها ولا تحتفظ بها.

قال بوارو وهو يقدم الرسالة إلى المفتش ناركوم:

ـ هذه الرسالة توضح كل شىء وتفسر لنا لماذا سافر اللورد بهذا القطار.. إنها فخ لاستدراجه.

فصاح ناركوم:

- فخ نصبته فيفى!! يا إلهى!! لقد خطر لى منذ البداية أن لها أو لزوجها أصبعاً فى هذه الجريمة.

فقال بوارو وهو يبتسم:

- أحقاً؟ إن ذلك لم يخطر لى... ولا يخطر لى الآن..

فنظر إليه ناركوم فى ذهول، وهم بأن يقول شيئاً.. ولكنه لم يفعل.. فقد أقبل عليه أحد رجال الشرطة فى تلك اللحظة وقال له:

- جاءت سيدتان ورجلان وهم يطلبون التصريح برؤية الجثة للتعرف على صاحبها.. ها هى أسماؤهم فى هذه الورقة.

فتناول ناركوم الورقة وقرأ الأسماء بصوت مسموع:

الليدى ستافورنيل.

الكولونيل مرشيسون.

مسز برينكويرث

الكابتن كروفورد

ونظر إلى بوارو متسائلاً فقال هذا:

- هل تعرف من أين قدموا؟

- نعم، عرفت ذلك عندما أبرقت إليهم نبأ مصرع اللورد ستافورنيل كانت الليدى وأبوها قد ذهبا إلى فندق (هايدرو) منذ أسبوع لقضاء أجازة عيد الميلاد، ومن المصادفات الغريبة أن مسز برينكويرث وكابتن كروفورد قد ذهبا أيضاً إلى نفس الفندق لنفس الغرض منذ يومين..

ولا شك أنها كانت مصادفة غير سارة بالنسبة إلى السيدتين.. لأن العلاقة بينهما ليست على ما يرام.

فقال بوارو:

- هذا أمر طبيعى... فأحداهما تمقت القتيل والأخرى تحبه.

إننى أريد مقابلة هاتين السيدتين.. وكذلك الرجلين.. وبعد ذلك.

وكف عن الكلام، ونظر إلى النجفة المهشمه، وقطب حاجبيه، وحك ذقنه بيده، واستغرق فى التفكير.

فقال ناركوم:

- هل ثمة مشكلة تشغل بالك؟ هل أستطيع مساعدتك؟ إننى بارع فى حل المشكلات:

- أحقاً؟ إذن أخبرنى.. إذا كانت هناك مائدة خشبية على طرفها جسم يتراوح ثقله بين ٥٠ و ٦٠ كيلو جراماً، وتحتها قوة ماصة تبلغ فى المتوسط كيلو جراماً للبوصة المربعة.. فما هى القوة اللازمة لجذب هذه المائدة مسافة مترين؟

إذا وجدت جواب هذه المسألة، فإنك ستضع يدك على القاتل.. ومتى وضعت يدك عليه، فإنك ستجد أنه ليس كأى رجل رأيته أو سمعت عنه طول حياتك.

فحملق ناركوم فى وجهه ولم يفهم شيئاً.

وابتسم بوارو ابتسامة غامضة وقال:

ـ دعمهم يدخلون.

وتوارى فى أحد الأركان بعيداً عن دائرة الضوء.

ودخل الموكب الحزين إلى مسرح المأساة.. تتقدمه الليدى ستافورنيل بقامتها الطويلة الرشيقة، ومحياها الجميل وعلى وجهها من دلائل الهدوء والسكينة ما يبدو على وجه إنسان تعذب طويلاً، ثم وانته ساعة الخلاص أخيراً.

وتبعها الكابتن كروفورد بوجهه الشاحب، وعينه الزائغتين، وشاربه الأسود الصغير.

ثم مسز برينكويرث بقامتها القصيرة، وجسمها الضئيل، ووجهها الملائكى الصغير، وعينيها الحمراوين من الحزن والبكاء.

وأخيراً دخل الكولونيل مرشيسون، بكتفيه العريضين وعنقه الغليظ.

ووقف بوارو فى ركنه صامتاً يرى ويسمع ويرقب ولا ينطق بكلمة.

وأخيراً، ألقى بيده على كتف المفتش ناركوم وقال له فى همس:

ـ احجزهم جميعاً هنا بأية وسيلة، لمدة خمس وأربعين دقيقة.. قلت لك أن القاتل إنسان ساذج، وأن سذاجته وأخطاءه ستساعد على إنهاء التحقيق فى هذه القضية الليلة.

سأعود إليك بعد ٤٥ دقيقة وسيكون القاتل معى هنا.

قال ذلك ودار على عقبيه، وغادر المركبة بسرعة، دون أن يتيح لناركوم فرصة للكلام.

كان الليل قد انتصف عندما أقبلت إحدى السيارات، وتوقفت بجوار المركبة وهبط منها شرطيان وامرأة جميلة طويلة القامة هى التى أثارت ضجة عظيمة خلال العامين الأخيرين وعرفها رواد الملاهى باسم مدموازيل فيفى، ثم هبط بوارو أخيراً، فلم يلق إليه أحد بالاً، لأن العيون جميعاً تعلقت بالراقصة الفرنسية الفاتنة وتابعتها وهى تتقدم ببطء وتنظر حولها فى ذعر..

شخص واحد كان ينتظر بوارو بفروغ الصبر، وهو المفتش ناركوم الذى ما كان يرى بوارو حتى تنفس الصعداء.

وصعد الجميع إلى المركبة، وقال ناركوم وهو ينقل بصره بين الحاضرين: دعونى أقدم لكم مسيو بوارو.. البوليس السرى البلجيكى المعروف.

فتحولت الأنظار إلى بوارو، بينما استطرد ناركوم قائلاً:

ـ لقد جاء مسيو بوارو متأخراً نصف ساعة عن الموعد الذى حدده، ولكنه وعدنى بأن يحل لغز هذه الجريمة الليلة، وقال لى أن القاتل سيكون معه عندما يعود.

فهتفت مسز برينكويرث بحماسة:

ـ باركه الله!! ها هو قد عاد بتلك المرأة الفرنسية الشريرة.. لقد كنت أعلم أن لها ضلعاً فى الجريمة.

فقال بوارو: معذرة يا مسز برينكويرث.. لقد خانك ذكاؤك هذه

المرة.. إننى لم أقبض على مدموازيل فيفى ولكنى جئت بها كشاهدة.

إنها لم تشترك فى الجريمة من قريب أو بعيد، ولكن اسمها استخدم لاستدراج اللورد ستافورنيل إلى الفخ الذى نصب له، وقد جاءت الآن لكى تؤكد أنها لا تعرف شيئاً عن الرسالة التى وجدت فى جيب اللورد ستافورنيل.. وأنه حقيقة كانت تعتزم مرافقة اللورد إلى إحدى الحفلات التنكرية ولكن هذه الحفلة موعدها يوم الجمعة أى فى السادسة عشر من هذا الشهر لا فى التاسع منه... وأنها لم يبلغها شىء إطلاقاً عن تغيير الموعد، أو احتمال تغييره.

وهنا صاحت فيفى برطانة فرنسية، وبصوت ينم عن الذعر:

- كلا.. كلا.. كلا.. أقسم أننى لا أعرف شيئاً فقال بوارو فى هدوء:

- هذا صحيح.. إن براءة مدموازيل فيفى ليست بحاجة إلى دليل.

فقال الكابتن كروفورد بانزعاج:

- وزوجها؟ لا شك أنك علمت بما قالته مسز برينكويرث من أنها رأته فى لندن صباح اليوم..

فأجاب بوارو: نعم.. ولكنى أعلم عن يقين أن مسيو فيليب دى لابار زوج مدموازيل فيفى برىء مثلها.

فقال المفتش ناركوم:

- ولكن ماذا عن الرجل القصير القامة ذى الشارب الأسود الصغير.

ـ إننا نعرف الكثير عنه.. ولكن يوجد رجال كثيرون قصار القامة لهم شارب أسود صغير.. مثلاً الكابتن كروفورد.. فلو أن الكابتن كان فى لندن صباح اليوم..

فقاطعه الكابتن بأن صاح بصوت مرتجف:

ـ إنى كنت فى لندن صباح اليوم.. يا إلهى.. لا شك أنك لا تريد أن تلمح إلى.

فقال بوارو: كلا.. إننى لا ألمح إلى شىء.. فكن مطمئناً أيها الكابتن لسبب بسيط هو أن الرجل القصير القامة ذا الشارب الأسود الصغير لا وجود له.

فصاح ناركوم: ماذا تعنى؟ أنت نفسك ذكرت أن عامل النظافة فى محطة لندن أخبرك بأنه رآه.. وأن..

ـ إننى ذكرت ما قاله عامل النظافة من أنه رآه.. وإذا واصلنا البحث والسؤال فسنجد أن خمسين شخصاً على الأقل قد رأوا ما رآه عامل النظافة.. جميعاً قد رأوا الشخص الذى قالت الرسالة.. أن اللورد سيضحك كثيراً عندما يقابله.. والرأى عندى أن الشخص الذى يجب أن يستأثر باهتمامنا فى الوقت الحاضر.. لأنه مشترك فى الجريمة، هو رجل ضخم الجسم، قوى الساعدين، مثل الكولونيل مرشيسون.

فصاح الكونيل فى غضب:

- ماذا تعنى يا رجل؟ كيف تجرؤ... هل تتهمنى بارتكاب الجريمة؟

- كلا.. إننى لا أتهمك بارتكاب هذه الجريمة لسبب معقول، أنك لم تضع قدمك فى قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ منذ أن غادر محطة لندن إلى أن توقف فى محطة (إينرلى)... وعندما توقف القطار فى هذه المحطة... كنت أنت تغادر قطار الضواحى فى محطة (لوليفيل) ومعك سيدة تحمل تذكرة سفر لم تثقب فى محطة لندن.. وهذا المسدس الذى وضعته السيدة فى جيبك قال ذلك وأخرج من جيبه مسدس هواء بسط به يده أمام الكونيل فصاح هذا:

- ما هذا الجنون يا سيدى.. إننى لم أر هذا المسدس فى حياتى.

- بل رأيته يا سيدى.. إنه كان لدى محلات (لورد) منذ يومين لإصلاح صمام فيه.. ولقد وجدته فى غرفتك منذ.. أقبض عليه يا ناركوم.. لا تدعه يهرب... حسناً فعلت.. لقد فرغنا الآن من الشرك، وجاء دور القاتل.

ووثب من مكانه فجأة.. وسمع القوم صيحة ذعر، وصوت سقوط جسم على الأرض.

وعندما أفاقت الليدى ستافورنيل والكابتن كروفورد من دهشتهما، وجدا بوارو ينهض واقفاً.. بعد أن طرح مسز برنريكويرث أرضاً ووضع الأصفاد فى معصميها.

قال بوارو وهو ينظر إلى المرأة التى أغمى عليها:

ـ ألم أقل لك يا مستر ناركوم، أنك حين تعثر على القاتل، ستجد أنه ليس أى رجل رأيته أو سمعت عنه طول حياتك؟ إننى أدركت منذ اللحظة الأولى أن القاتل امرأة.. أدركت ذلك من تخبطه ومن الطريقة التى وضع بها المسدس فى يد القتيل.. وكان السؤال الوحيد الذى يتعين على أن أبحث عن جواب له، هو... من هى المرأة التى ارتكبت الجريمة؟ مدموازيل فيفى؟ أم الليدى ستافورنيل..؟ أم هذه الماكرة المخادعة؟ إننا كنا نبحث عن الرجل الرابع يا مستر ناركوم.. الرجل القصير القامة ذو الشارب الأسود الصغير.. هو ذا الشارب الأسود الصغير.. لقد وجدته فى غرفتها بفندق (هايدرو).

إنها أوهمت اللورد بأنها أيضاً مدعوة إلى الحفلة التنكرية وأن لقاءها معه فى محطة لندن وهى فى ذلك الزى! هو المفاجأة التى أعدتها له مدموازيل فيفى وأشارت إليها فى الرسالة المزيفة.

وهكذا سافرت مع ستافورينل فى نفس المركبة، وفى الطريق، أطلقت عليه الرصاص.

ـ لماذا؟

أعتقد أن السبب واضح.. إن ابنها هو الوريث الوحيد للورد، وستكون هى الوصية على ابنها القاصر وهكذا تستطيع أن تنفق المال

كما تشاء.. وتعيش مع زوجها فى رغد بقية حياتهما.

- زوجها؟ هل تعنى أنها والكولونيل مرشيسون.

- إنهما تزوجا سراً منذ سبعة أسابيع يا مستر ناركوم، وقد عثرت على وثيقة الزواج بين أمتعة الكولونيل فى غرفته بالفندق.

* * *

قال بوارو رداً على سؤال ألقاه المفتش ناركوم وهما يستقلان آخر قطار إلى لندن:

- تسألنى كيف هربت القاتلة من المركبة بعد أن ارتكبت جريمتها؟ إن المسألة غاية فى البساطة.. أنت تعلم أن القطار يغادر لندن فى الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ ولا يتوقف إلا فى محطة (أينرلى).

ولكن هناك قطار آخر، هو قطار الضواحى الذى يغادر لندن فى الساعة الخامسة والدقيقة ١٨ ويسير على نفس القضبان حتى محطة (سيدنهام) وهناك ينتقل إلى خط فرعى، ويستمر فى طريقه حتى تنتهى رحلته فى محطة (لوليفيل).

ولما كان قطار الساعة الخامسة والدقيقة ١٨ يتوقف فى محطات كثيرة، فإنه لا يكاد يغادر سيدنهام حتى يكون قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨ قد لحق به؟ وهكذا يسير القطاران بعد محطة (سيدنهام) جنباً إلى جنب على خطين متوازيين وبسرعة متساوية

مسافة طويلة، بحيث يستطيع الإنسان الانتقال من سلم إحدى المركبات إلى سلم مركبة موازية فى القطارالآخر.. سيما وأن المسافة بين السلمين لا تتجاوز متراً واحداً.

ولكن العقبة الوحيدة هى فى قوة الامتصاص الهائلة التى يمكن أن تجتذب الشخص الذى يقوم بهذه المحاولة وتلقى به تحت العجلات.. فكيف السبيل إلى تذليل هذه العقبة؟

إنى فكرت فى ذلك طويلاً، ووجدت أن عملية الانتقال لا يمكن أن تتم بنجاح إلا بمعونة شخص آخر فى قطار الساعة الخامسة والدقيقة ١٨.

ومعنى هذا أن الشخص الأخير يجب أن يفعل ما فعله اللورد، فيحجز لنفسه مركبة خاصة فى قطار الساعة الخامسة والدقيقة ٢٨، ومتى حان الوقت المناسب، حطم كلا من الشريكين المصابيح الكهربية لكى تتم عملية الفرار تحت جنح الظلام.

وما أن ارتكبت القاتلة جريمتها، وحطمت المصابيح الكهربية حتى وقفت على سلم المركبة بعد أن أغلقت بابها.. ثم انتقلت إلى سلم المركبة الموازية حيث كان شريكها.

ولكن كيف أمكن التغلب على خطر الامتصاص؟

- آه.. لقد فهمت الآن لماذا سألت عن لوح من الخشب أو تاوبت تركه صاحبه فى قطار الضواحى.

ـ تمامـاً.. ولكن القـاتلة وشـريكهـا فكرا فى مـائدة لأن المائدة عـريضـه.. وعـرضـهـا يقلل من خطورة الامـتصـاص.. ولكن وضـعـهـا بين المركبتين ثم اجتذابها بعد ذلك.. كل هذا يتطلب قوة عضلية فائقة بسبب شدة الامتصاص أيضاً.. ومن حسن حظ القاتلة أن شريكها كان يتمتع بقوة خارقة.

وبعد الجريمة، أغلقت القاتلة باب المركبة كما ذكرت، لكى تزيد من حيـرة المحقق... ثم عبـرت إلى المركبـة الأخـرى بمساعـدة شـريكهـا.. وهنـاك خلعت ثيـابهـا التنكرية، وارتدت ثوباً نسـائيـاً كـان فى جـيب المعطف الجلدى.

وطبيعى أن مرشيسون اشترى تذكرتى سفر فى محطة لندن، لكى يبـرزها عند خروجه مع شـريكته من محطة (لوليفيل).. ولكن إحدى التذكرتين لم تثقب فى محطة لندن، لأنه كان وحده عندما مر من باب المحطة فى طريقه إلى القطار.

وفـيـمـا عـدا ذلك فـإن الجـريمـة دبرت بإحكام تام، وسـاعـد على تنفـيـذها إزدحـام القطـارين بالركـاب بحـيث لم يكن فى اسـتطاعـة أى راكب أن يطل من النافذة أو أن يرى أبعد من موضع قدميه.. آه.. أظن أننا قد وصلنا.. طابت ليلتك يا مستر ناركوم.

* * *

الرجل الذى تلاشى

كنت وبوارو قد دعونا صديقنا القديم (جاب) المفتش بأسكتلند يارد لتناول الشاى معنا فى الشقة المؤثثة التى نقيم بها.

فجلسنا حول المائدة فى انتظاره، وراح بوارو ينظم وضع الأقداح والصحاف وأوعية السكر والمربى التى اعتادت ربة البيت أن تلقى بها على المائدة كيفما اتفق، ثم أخرج منديله الحريرى وجعل يمسح به وعاء الكاكاو - شرابه المفضل - فقد كان يعاف تناول الشاى ويصفه بأنه (السم الإنجليزى).

وما هى إلا لحظات حتى سمعنا طرقاً على الباب الخارجى، وبعد قليل دخل علينا جاب مهرولاً فحيانا وقال:

- أرجو ألا أكون قد تأخرت كثيرا، والواقع أننى شغلت بالحديث مع (ميلر).. مفتش البوليس المكلف بقضية دافنهايم.

فأرهفت أذنى.. وتعلقت عيناى بشفتيه.

ذلك أن الصحف لم تكف طوال الأيام الثلاثة الأخيرة عن الحديث عن اختفاء مستر دافنهايم المليونير المعروف وأحد صاحبى بنك دافنهايم وسالمون، الذى يعد من أكبر وأقدم بنوك إنجلترا.

وكان مستر دافنهايم قد غادر بيته فى يوم السبت الماضى ولم يره أحد بعد ذلك، ولهذا كنت مشوقاً إلى سماع مزيد من التفصيلات المثيرة مع المفتش جاب.

قلت:

- كنت أعتقد أنه يستحيل على أى إنسان أن يختفى تماماً فى هذه الأيام.

فأبعد بوارو وعاء الزبد قليلاً وقال بحدة:

- كن دقيقاً فى تعابيرك يا صديقى.. ماذا تعنى بكلمة (يختفى)..؟ وأى نوع من الاختفاء تقصد؟

فقلت ضاحكاً:

- وهل هناك أنواع مختلفة من الاختفاء؟

وابتسم (جاب) أيضا، فقطب بوارو حاجبيه وأجاب:

- طبعاً هناك أنواع مختلفة.. هناك ثلاثة أنواع.. الأول الاختفاء

الاختيارى، وهو الأكثر شيوعاً، والثانى الاختفاء نتيجة لفقدان الذاكرة، وهو نوع نادر ولكنه موجود، والثالث: الاختفاء نتيجة لجريمة قتل نجح مرتكبها فى التخلص من الجثة بطريقة ما، فهل تقول باستحالة هذه الأنواع الثلاثة جميعاً؟

- تقريباً.. فإنك قد تفقد ذاكرتك، ولكن من المؤكد أنك ستقابل يوماً شخصاً يعرفك.. خاصة إذا كنت شخصية معروفة مثل دافنهايم.

وفى حالة الاختفاء نتيجة لجريمة قتل، فإن الجثث لا تتلاشى ولا تتبخر.. ولابد أن تظهر عاجلاً أو آجلاً.. تحت نشز من الأرض أو فى حقيبة.. والمختلسون واللصوص، لم يعد من العسير الاهتداء إليهم فى هذا الزمن الذى انتشرت فيه وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية.. وأصبح من السهل محاصرة المجرم الهارب وترصده فى المحطات والموانى والمطارات.. أما الاختفاء داخل البلاد فمستحيل كذلك.. لأن وجه المختفى سيكون معروفاً لكل من يقرأ الصحف.

فقال بوارو:

- أنت مخطئ يا صديقى، لأنك لا تضع فى تقديرك احتمال أن يكون الشخص الذى قرر أن يزيل شخصاً آخر أو أن يزيل نفسه من الذكاء والدقة وسلامة التفكير والتدبير بحيث يخدع رجال الشرطة.

فقال جاب وهو ينظر إلى ويغمز بعينه.

ـ ولكن من المحقق انه لن يستطيع ان يخدعك أنت يا مسيو بوارو.. أليس كذلك؟

فقال بوارو وهو يحاول عبثاً أن يتواضع:

ـ ولم لا؟ إننى يمكن ان أخدع أيضاً رغم أننى أعالج مثل هذه المسائل بالأساليب العلمية الدقيقة.. وهو ما لا يفعله الجيل الجديد من رجال البوليس السرى.

فقال جاب:

ـ إننى أعتقد أن المفتش ميلر المكلف بتحقيق قضية اختفاء دفانهايم، رجل ذكى لا يهمل صغيرة أو كبيرة.. ويقيم وزناً لكل أثر مهما ضؤل، وله عينان تريان كل شىء.

فقال بوارو:

ـ كذلك العصفور يا صديقى.. له عينان ترى بهما كل شىء.. ولكننا لا نستطيع مطالبة هذا الطائر الصغير بحل لغز اختفاء المليونير دافنهايم.

ـ لا شك أنك لا تهون من قيمة الحقائق والتفصيلات الصغيرة كاملة يا مسيو بوارو.

ـ كلا طبعاً.. إن لهذه الأمور أهميتها ولكن الخطورة هى فى تجسيم هذه الأهمية بلا مبرر... وأغلب التفصيلات التى يقع عليها الباحث كثيراً ما تكون بلا قيمة على الاطلاق.

ثم استطرد قائلاً وهو يدق بأصبعه على جبينه:

- إن العقل والخلايا الرمادية فى المخ هى أهم ما ينبغى أن يعتمد عليه الباحث، أما المشاعر والأحاسيس فإنها كثيراً ما تضلل صاحبها.. والإنسان يجب أن يبحث عن الحقيقة فى داخله لا فى الخارج.

- هل تعنى بذلك يا مسيو بوارو إنك تستطيع أن تحل لغز إحدى القضايا المعقدة دون أن تبرح مقعدك؟

- هذا ما أعنيه تماماً.. بشرط أن تطرح الحقائق كلها أمامى.. وفى هذه الحالة سيكون دورى هو دور الخبير الاستشارى.

فصاح جاب وهو يدق ركبته بيده:

- تباً لى إذا لم آخذ بكلمتك يا مسيو بوارو.. إننى أراهنك بخمسة جنيهات على أنك لن تستطيع أن تضع يدك.. أو أن ترشدنى كيف أضع يدى على مستر دافنهايم حياً أو ميتاً خلال أسبوع من اليوم.

ففكر بوارو قليلاً ثم قال:

- حسناً.. إننى أقبل الرهان يا صديقى.. إن المراهنات هى رياضة الإنجليز.. والآن.. ما هى الحقائق؟

- فى يوم السبت الماضى وكعادته كل أسبوع استقل مستر دافنهايم قطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٠ من محطة فكتوريا قاصداً إلى (شنجسايد) حيث يوجد قصره الريفى، وبعد أن تناول طعام الغداء

طاف بحديقة القصر وأصدر بعض التعليمات للبستانى.. وقرر الجميع أنه كان طبيعياً تماماً.

وبعد تناول الشاى، أطل من باب مخدع زوجته وقال لها أنه سيذهب إلى القرية سيراً على الأقدام ليضع بعض الرسائل فى صندوق البريد، وأضاف قائلاً أنه يتوقع أن يزوره شخص يدعى مستر لوين ليتحدث معه فى بعض الأعمال.. فإذا جاء الرجل قبل عودته.. فليذهب به كبير الخدم إلى غرفة المكتب ويطلب إليه الانتظار.

وغادر مستر دافنهايم القصر من الباب الأمامى.. ولم يره أحد بعد ذلك.. اختفى تماماً.

فتمتم بوارو وقد آثاره هذا اللغز:

- رائع.. رائع.. اتمم حديثك يا صديقى.

- بعد نحو ربع ساعة.. جاء إلى القصر رجل طويل القامة أسمر البشرة ذو شارب أسود كثيف: فدق جرس الباب.. وقال أنه يدعى «لوين» وأنه على موعد مع مستر دافنهايم، وتنفيذاً لأوامر المليونير، ذهب به كبير الخدم إلى قاعة المكتبة وطلب إليه الانتظار.

وبعد فترة من ا لوقت، دق مستر لوين جرسا وقال أنه لن يستطيع الانتظار أكثر من ذلك لأنه يجب أن يستقل القطار ليعود إلى لندن، فاعتذرت له مسز دافنهايم عن تخلف زوجها.. الذى لم تجد له مبرراً

فهى تعلم أنه كان ينتظر هذه الزيارة، وعبر مستر لوين عن أسفه لعدم استطاعته الانتظار وانصرف.

ولم يعد مستر دافنهايم كما هو معروف.

وفى صباح يوم الأحد، اتصلت مسز دافنهايم برجال البوليس، ولم يستطع البوليس الوصول إلى نتيجة، فقد اختفى مستر دافنهايم تماماً، كما لو كان قد تبخر فى الهواء، أو كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعته.

ثبت أنه لم يذهب إلى مكتب البريد، وأن أحداً لم يره فى القرية، وأكد ناظر المحطة الذى يعرفه تمام المعرفة أنه لم يستقل أى قطار.

كذلك ثبت أن سيارته لم تبرح مكانها فى الحظيرة.

وإذا كان قد اتفق مع سائق إحدى سيارات الأجرة على مقابلته فى مكان ما، فإن الضجة التى أثيرت حول حادث الاختفاء والجائزة التى تقرر منحها لمن يدلى بمعلومات تلقى ضوءا على الحادث.. كل ذلك كان خليقاً بأن يدفع السائق إلى الإدلاء بمعلوماته.

صحيح أنه كان هناك سباق للخيل فى (انتفيلد) على بعد خمسة أميال، وأن مستر دافنهايم إذا كان قد ذهب إلى هذه المدينة سيراً على الأقدام فمن المحتمل ألا يعرفه الجمهور، إلا أن صورته وأوصافه قد نشرت منذ ذلك الوقت على نطاق واسع وفى جميع الصحف.

ولقد جاءتنا رسائل عديدة من شتى أنحاء إنجلترا، ولكن جميع

المعلومات لم تسفر عن نتيجة.

وفى صباح يوم الاثنين، حدثت مفاجأة جديدة.. كان مستر دافنهايم يحتفظ فى غرفة مكتبه بخزانة حديدية كبيرة، وقد وجدت هذه الخزانة محطمة.. واختفت كل محتوياتها.

كانت نوافذ الغرفة موصدة من الداخل، مما يدل على أن الحادث ليس حادث سطو عادى.. اللهم إلا أن يكون للص شريك فى القصر أغلق نوافذ الغرفة من الداخل عقب السطو، يضاف إلى ذلك أن السرقة لم تكتشف إلا فى صبيحة يوم الاثنين، بينما يحتمل أنها ارتكبت يوم السبت أو الأحد وحال الاضطراب الذى ساد القصر بسبب اختفاء صاحبه دون اكتشافها فى الوقت المناسب.

فقال بوارو:

- هذا صحيح.. ولكن هل قبضتم على مستر لوين المسكين؟

- ليس بعد، ولكننا وضعناه تحت المراقبة الدقيقة، فهز بوارو رأسه فى بطء ثم سأل:

- وماذا فقد من الخزانة؟ هل لديك فكرة؟

- لقد بحثنا الأمر مع شريك مستر دافنهايم.. ويبدو المليونير كان يحتفظ فى خزانته بكمية ضخمة من السندات التى تصرف لحاملها وبكمية كبيرة أخرى من أوراق النقد، بالاضافة إلى كمية من

المجوهرات.

وقلما كان يمضى أسبوع دون أن يقدم لزوجته هدية ثمنية من الحلى والمجوهرات والأحجار الكريمة النادرة

فقال بوارو:

- إذن فالسرقة جسيمة.. ولكن ماذا عن مستر لوين؟ هل عرفتم لماذا ذهب لزيارة دافنهايم فى ذلك المساء؟

- يبدو أن الصلة بين الرجلين لم تكن طيبة، فمستر لوين من المضاربين فى الأوراق المالية على نطاق ضيق. وقد ظفر بدافنهايم فى بعض الصفقات، رغم أن الرجلين لم يتقابلا إلا نادراً.. ولعلهما لم يتقابلا إطلاقاً.. وقد حدد المليونير لمستر لوين هذا الموعد ليتباحث معه بشأن أسهم بعض المؤسسات المالية فى أمريكا الجنوبية.

- هل لدافنهايم مصالح فى أمريكا الجنوبية؟

- أعتقد ذلك، وقد ذكرت مسز دافنهايم عرضاً أن زوجها قضى الخريف الماضى كله فى بونس أيرس.

- هل يواجه دافنهايم متاعب عاملية! هل العلاقة بينه وبين زوجته طيبة؟

- أعتقد أن حياته العائلية تتسم بالهدوء والاستقرار، ومسز دافنهايم امرأة لطيفة ولكنها ليست على جانب كبير من الذكاء..

واستطيع أن أقول أنها بلا شخصية.

- إذن لا ينبغى أن نبحث عن حل اللغز داخل الأسرة.. هل كان له أعداء؟

- كان له منافسون كثيرون فى حقل المعاملات المالية، ولا شك أن كثيرين ممن انتصر لهم لا يضمرون له خيراً.. ولكن ليس معنى ذلك أن بينهم من يرغب فى إزالته.. وإذ كان الأمر عكس ذلك فأين الجثة؟

- تماماً.. وكما قال صديقنا هاستنجز.. أن الجثة لابد أن تظهر بطريقة ما إن عاجلاً أو أجلاً.

- وبالمناسبة.. يقول البستانى أنه رأى شخصاً يدور حول ركن القصر فى اتجاه حديقة الزهور.. وغرفة المكتب بها باب يؤدى إلى حديقة الزهور وكثيراً ما كان دافنهايم يدخل القصر أو يغادره، عن طريق هذا الباب، وكان البستانى فى مكان بعيد فلم يتبين هل الرجل الذى رآه هو دافنهايم أم لا، كذلك لم يستطع البستانى تحديد الوقت بالضبط، ولكن الراجح أن الساعة لم تكن قد بلغت السادسة، لأن عمال البساتين يكفون عن العمل عادة فى الساعة السادسة مساء.

- متى غادر دافنهايم القصر؟

- حوالى الساعة الخامسة والنصف.

- وماذا يوجد وراء الحديقة؟

- بحيرة.

- وكوخ للقوارب؟

- نعم، كوخ يوضع به زورقان.. لا شك أن وجود البحيرة يوحى إليك بأن المليونير قد انتحر.. أليس كذلك يا مسيو بوارو؟ ولكنى أطمئنك بأن المفتش ميلر سيشرف بنفسه غداً صباحاً على عملية البحث فى قاع البحيرة.

إنه رجل دقيق فى عمله كما قلت لك.

فابتسم بوارو وتحول إلى قائلاً:

- أرجوك أن تأتينى بجريدة (الديلى ميجافون) يا هاستنجز، فإنها على ما أذكر قد نشرت صورة واضحة جداً للمليونير المفقود.

فأحضرت له الجريدة المطلوبة، ونظر بوارو إلى الصورة بإمعان وقال يصف صاحبها:

- شعره طويل مجعد وشاربه كثيف ولحيته مدببة وعيناه سوداوان؟

- نعم..

- وقد لاحظ الشيب شعر رأسه ولحيته؟

- نعم.. والآن ما رأيك يا مسيو بوارو؟ إن القضية واضحة كل الوضوح.. أليس كذلك؟

ـ على العكس.. إنها غامضة تماماً.

فبدت دلائل الارتياح على وجه المفتش جاب، واستطرد بوارو قائلاً في هدوء:

ـ وذلك يضاعف أملى فى سرعة حلها.

ـ ماذا تعنى؟

ـ إننى أرى فى غموض القضية علامة طيبة.. أما الوضوح فائق الحد فإنه يثير ريبتى، لأنه يوحى بأن هناك من تعمد أن يجعله كذلك.

فهز جاب رأسه بشىء من الإشفاق وقال:

ـ لكل إنسان وجهة نظره.. ولكنى لا أرى ضرراً فى أن يجد الإنسان الطريق واضحاً أمامه.

ـ إننى لا أنظر إلى الطريق.. أنا أغمض عينى وأفكر فتنهد جاب وقال:

ـ على كل حال، أمامك أسبوع بطوله للتفكير.

ـ ولكن عليك أن توافينى بالتطورات أولاً بأول.

وخاصة بنتائج أبحاث صديقك الذكى جداً والدقيق جداً المفتش ميلر.

ـ طبعاً.. طبعاً.. إن اتفاقنا على الرهان يتضمن ذلك.

وعندما هم (جاب) بالانصراف، رافقته إلى الباب، فقال لى فى همس:

- إن الرهان مجحف به، وأنا أشعر كمن يسرق النقود من طفل.

فابتسمت تعبيراً عن موافقتى، وكانت الابتسامة لا تزال تتلاعب على شفتى عندما عدت إلى مكانى أمام المائدة فقال بوارو على الفور:

- أتسخران من بوارو العجوز؟؟؟ ألا تشقان فى خلاياه الرمادية؟ حسناً.. دعنا نستعرض القضية.. وأرجو ألا يختلط عليك الأمر.. إنها لم تتم فصولاً بعد.. ولكن هناك نقطة أو نقطتان تثيران الاهتمام.

- تعنى البحيرة..

- بل هناك ما هو أهم من البحيرة.. هناك الكوخ الذى توضع فيه القوارب.

فنظرت إليه من ركن عينى.

ورأيت على شفتيه ابتسامة غامضة، وأحسست حينئذ بأنه لا جدوى من الإلحاح عليه بالأسئلة:

ولم يتصل بنا (جاب) إلا فى مساء اليوم التالى عندما أقبل علينا قبيل الساعة التاسعة، ولاحظت من نظراته وقسمات وجهه أن لديه أنباء يتحرق شوقاً إلى الإدلاء بها.

- هتف بوارو حالماً رآه:

- هل كل شىء على ما يرام يا صديقى؟! ولكن بالله لا تنبئنى أنكم عثرتم على جثة دافنهايم فى البحيرة.. لأننى لن أصدق ذلك.

فقال جاب:

- إننا لم نعثر على جثة دافنهايم.. ولكننا عثرنا على الثياب التى كان يرتديها يوم اختفائه.. فما قولك فى ذلك؟

- هل فقدت من القصر ثياب أخرى؟

- كلا.. والخادم واثق من ذلك، إنه يؤكد أن كل ثياب دافنهايم موجودة فى أماكنها.. ولكن الأهم من ذلك أننا قبضنا على (لوين)، فقد قالت الخادمة المكلفة بإغلاق نوافذ غرفة النوم أنها رأت (لوين فى حديقة الزهور فى طريقه إلى غرفة المكتب فى نحو الساعة السادسة والربع.. أى قبل مغادرته القصر بنحو عشر دقائق.

- وماذا قال هو عن ذلك؟

- أنكر فى البداية أنه غادر غرفة المكتب، ولكن الخادمة كانت واثقة، فزعم أنه نسى حقاً أنه غادر الغرفة فعلاً لكى يفحص زهرة غير عادية رآها فى الحديقة.. وهو عذر ضعيف.. أليس كذلك؟ ولقد ظهر دليل جديد ضده.. فإن مستر دافنهايم كان يزين خنصره دائماً بخاتم من الذهب مرصع بماسة كبيرة.. ولقد ذهب رجل يدعى (بيلى كيلرت) بهذا الخاتم إلى أحد محال الرهون فى لندن ليلة السبت، وكيلرت هذا معروف فى دوائر البوليس وسبق الحكم عليه بالسجن ثلاثة شهور فى الخريف الماضى بتهمة نشل ساعة أحد المواطنين،

ويبدو أنه تردد على خمسة محال للرهون فى محاولاته اليائسة لرهن الخاتم ونجح فى المحاولة الأخيرة، وما أن حصل على مبلغ الرهن حتى أسرع إلى إحدى الحانات حيث شرب حتى ثمل ثم اعتدى على أحدرجال الشرطة، فزج به فى السجن.

وقد ذهبت مع ميلر لمقابلته فى سجن (بوستريت)، واستطعنا أن نلقى الذعر فى قلبه، إذ أفهمناه أنه يحتمل جداً أن يتهم بقتل دافنهايم.. وحينئذٍ أدلى إلينا بالقصة الغريبة التالية.

قال إنه ذهب إلى سباق الخيل فى (انتفيلد) يوم السبت الماضى، وأنا أعتقد أنه ذهب للسرقة والنشل لا للمراهنة.. وقال إن النحس لازمه فى ذلك اليوم فخسر كل ما كان معه، وعاد فى الطريق إلى (شنجسايد) سيراً على قدميه، وقبل أن يصل إلى القرية، جلس فى حفرة ليستريح، وبعد بضع دقائق رأى رجلاً أنيقاً أسمر البشرة ذا شارب ضخم يسير فى الطريق إلى القرية.

وكان كيلرت مختفياً فى الحفرة وراء كومة من الأحجار.. فرأى الرجل ينظر حوله بسرعة.. ولما تأكد من أن أحداً لا يراه.. أخرج من جيبه حزمة صغيرة ألقى بها فى الحقل المجاور.. ثم واصل سيره فى الطريق إلى المحطة.

ويبدو أن سقوط الحزمة الصغيرة فى الحقل أحدث رنيناً أثار

فضول كيلرت، فانتظر حتى ابتعد الرجل ثم خرج من مخبئة، وراح يبحث عن الحزمة حتى عثر عليها فوق حجر على حافة الحقل.. وعندما فض الحزمة، وجد بها الخاتم.

تلك هى قصة كيلرت وقد كانت الصفات التى ذكرها عن الرجل تنطبق على (لوين)، ولكن لوين أنكر بتاتاً أن له أية صلة بحادث الخاتم، وطبيعى أنه لا يمكن التعويل على كلام رجل مثل كيلرت.. والأرجح أنه قابل دافنهايم فى طريق مقفر وقتله وسرق خاتمه.

فهز بوارو رأسه وقال:

- إنى لا أرجح ذلك يا صديقى.. فليست لديه وسيلة للتخلص من الجثة.. ولو صح أنه قتل دافنهايم لكانت الجثة قد ظهرت، هذا من ناحية فإن الطريقة العلنية التى لجأ إليها لرهن الخاتم تؤكد أنه لم يقتل ليسرق، يضاف إلى ذلك.. أن النشال قلما يقدم على ارتكاب جريمة قتل.

فهز جاب رأسه ببطء وقال:

- لا أستطيع أن أزعم أنك لست على صواب، ولكنك لن تجدى هيئة من المحلفين تقيم وزناً لشهادة مجرم عتيد مثل كيلرت، والأمر الذى يثير عجبى وحيرتى هو أن (لوين) لم يوفق إلى وسيلة أخرى أبرع وأجدى للتخلص من الخاتم.

فهز بوارو كتفيه وقال:

- على كل حال فإن وجود الخاتم فى تلك المنطقة يمكن أن يوحى بأنه قد سقط من دافنهايم نفسه.

فقلت:

- ولكن إذا كان (لوين) هو القاتل.. فلماذا نزع الخاتم من أصبع المليونير ثم تخلص منه بالقائه فى الحقل؟

فقال جاب:

- لابد أن هناك سبباً.. وبهذه المناسبة، هل تعلم أن فى الضفة الأخرى للبحيرة طريقاً تؤدى إلى التل حيث توجد جيارة ضخمة (فرن لحرق الجير)؟

فصحت:

- يا إلهى!! هل تعنى أن (الجير) الذى أباد الجثة.. لا يؤثر على معدن الخاتم؟

- تماماً.

فقلت:

- يخيل إلى أن هذا يفسر كل شىء.. يا لها من جريمة مخيفة!!!

ونظرنا إلى بوارو... وخيل إلينا أنه مستغرق فى تفكير عميق، فقد

كان مقطب الجبين، شارد البصر.

ولم يطل انتظارنا، إذ لم يلبث بوارو أن تنهد، وانبسطت أسارير وجهه، وتحول إلى جاب وسأل:

ـ هل لديك أية فكرة أيها الصديق عما إذا كان دافنهايم وزوجته ينامان فى غرفة واحدة؟

وكان السؤال مفاجأة غير متوقعة، فحملقنا نحوه فى ذهول، ثم انفجر جاب ضاحكاً وصاح:

ـ يا إلهى يا مسيو بوارو.. لقد ظننت أنك ستفاجئنا بفكرة مدهشة.. وفيما يختص بسؤالك فإننى لا أعرف جوابه..

فقال بوارو بإلحاح عجيب:

ـ هل فى استطاعتك أن تعرف الجواب؟

ـ طبعاً.. إذا كنت تصر على معرفته.

ـ أشكرك يا صديقى وأرجوك ألا تنسى:

فحملق جاب فى وجهه مرة أخرى، بينما عاد بوارو إلى التفكير.

وهز جاب رأسه، ونظر إليه مشفقاً ثم تحول إلى وهمس:

ـ مسكين هذا الرجل، يخيل إلى أن أحداث الحرب قد أثرت فى نفسه وأعصابه.

وجلس جاب فى هدوء، وظل بوارو مستغرقاً فى التفكير فتناولت ورقة وأخذت أتسلى بكتابة بعض الملاحظات.. إلى أن تنبهت أخيراً على صوت بوارو وهو يقول:

- ماذا تفعل يا صديقى؟

- كنت أسجل النقط التى يخيل إلى أنها أهم من غيرها فى هذه القضية.

فقال بوارو بارتياح:

- هأنتذا قد أصبحت منهجياً.

- هل أتلو عليك ما كتبت؟

- أكون شاكراً لو فعلت.

فقرأت:

أولاً: جميع الدلائل تشير إلى أن (لوين) هو الشخص الذى سطا على الخزانة.

ثانياً: كان (لوين) يحقد على دافنهايم.

ثالثاً: وقد كذب عندما قرر فى البداية أنه لم يغادر غرفة المكتب.

رابعاً: إذا كان (كيلرت) صادقاً فى روايته.. فإن إدانة (لوين) تصبح أمراً مفروغاً منه.

وكففت عن القراءة، ونظرت إليه، وأنا أشعر بأننى قد وضعت أصبعى على النقاط الرئيسية، وسألته!

ـ ما رأيك؟

ـ يا صديقى المسكين.. إن موهبتك لم تنضج بعد.

ولقد غفلت عن أهم النقاط.

ـ كيف؟

ـ دعنى أبدأ بتناول ملاحظاتك.

أولاً مستر (لوين) لم يكن يعلم أنه ستتاح له فرصة للسطو على الخزانة، فقد جاء لمقابلة دافنهايم دون أن يكون له علم مسبق بأن هذا الأخير سيذهب إلى القرية ليضع رسالة فى صندوق البريد، وأنه (أى لوين) سيجد نفسه بمفرده فى غرفة المكتب.

فقلت:

ـ لعله وجد نفسه بمفرده فانتهز الفرصة.

ـ وأدوات فتح الخزانة؟ إن كرام الناس لا يخفون أدوات اللصوص فى جيوبهم، وفى رواحهم وغدوهم.

ـ حسناً.. وما رأيك فى الملاحظة الثانية؟

ـ تقول أن (لوين) يحقد على دافنهايم.. تعنى أنه ظفر به فى

صفقة أو صفقتين.. أى أنه حقق لنفسه ربحاً فى صفقة أو صفقتين انتزعهما من دافنهايم.. والمألوف أنك لا تحقد على الشخص الذى انتصرت عليه.. والعكس هو الصحيح.. فإذا كان هناك حقد بين الرجلين.. فهو حقد دافنهايم على (لوين).

- ولكن هل تنكر أنه كذب فى موضوع خروجه من غرفة المكتب؟

- كلا.. ولكن من المحتمل أنه كذب بدافع الخوف، لقد وجدت ثياب المليونير المفقود فى قاع البحيرة، فخشى أن يتهم بقتله.. ولكن كان الأفضل طبعاً أن يقول الحقيقة.

- والملاحظة الرابعة؟

- إننى أوافقك عليها.. نعم.. إذا صحت رواية كيلرت فإن (لوين) يكون متورطاً فى الجريمة.. وهذا وجه الطرافة فى القضية.

- معنى ذلك أننى وضعت أصبعى على نقطة هامة!!

- ربما.. ولكنك غفلت عن نقطتين أكثر أهمية، نقطتين هما مفتاح اللغز كله.

- وما هما؟

- الأولى ولع دافنهايم فى السنوات الأخيرة بشراء المجوهرات، والثانية الرحلة التى قام بها إلى بونس إيرس فى الخريف الماضى.

- بوارو.. لا شك أنك تهزل.

ـ إننى جاد تماماً.. ولكنى أرجو الا ينسى صديقنا المفتش جاب السؤال البسيط الذى طلبت إليه البحث عن جوابه.

ولم ينس المفتش جاب، فقد وردت برقية فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى باسم بوارو.. وطلب إلى هذا أن أفضها، ففضضتها وقرأت فيها ما يلى:

«الزوج والزوجة ينامان فى غرفتين منفصلتين منذ الشتاء الماضى».

فصاح بوارو:

ـ آه.. ونحن الآن فى منتصف يونيه.. لقد وضح كل شىء.

فنظرت إليه فى دهشة:

قال:

ـ هل لك أموال مودعة فى بنك دافنهايم وسالمون أيها الصديق؟

ـ كلا.. لماذا؟

ـ لأننى أريد أن أنصحك بسحب أموالك من هذا البنك قبل فوات الفرصة:

ـ لماذا؟ ماذا تتوقع؟

ـ أتوقع انهيار هذا البنك بعد بضعة أيام.. وربما أسرع من ذلك.. وبهذه المناسبة.. يجب أن أرد على برقية جاب.. أرجوك أن ترسل إليه

هذه البرقية «أنصح لك بأن تسحب أموالك من بنك المليونير».

ستثير هذه البرقية فضوله واهتمامه، وستجعله يفتح عينيه ولكنه لن يدرك مغزاها تماماً إلا غداً أو بعد غد.

ولم أصدق نبوءة بوارو.. إلى أن أرغمتنى أحداث اليوم التالى على الاعتراف له بصدق الحدس وسلامة المنطق.. فقد نشرت جميع صحف الصباح بحروف كبيرة فى صفحاتها الأولى نبأ إفلاس بنك دافنهايم، وقالت إن التحقيق فى حادث اختفاء المليونير قد بدأ يسير فى اتجاه جديد على ضوء ما كشف عنه المركز المالى للبنك.

وقبل أن نفرغ من تناول إفطارنا فتح الباب بعنف ودخل جاب مهرولاً وفى يمناه إحدى صحف الصباح وفى يسراه برقية بوارو.

صاح وهو يضع البرقية على المائدة أمام صديقى:

ـ كيف علمت بحق السماء!!!

فابتسم بوارو فى هدوء وأجاب:

ـ لقد جاءت برقيتك إلى ايها الصديق فأكدت ظنونى.. الواقع أن الأشياء التى سرقت من الخزانة لفتت نظرى منذ البداية.. فماذا كانت هذه الأشياء؟ أوراق نقد، وسندات تدفع قيمتها لحاملها، ومجوهرات.. أى ثروة جاهزة يمكن تداولها فى أى وقت.. وفى أى مكان.. ومن الذى (جهز) هذه الثروة وأعدها؟ دافنهايم ـ لمن؟ لنفسه طبعاً.

لقـد دبر كل شىء بعناية ودقـة.. وبدأ التنفـيـذ يوم بدأت هوايتـه للمجوهرات والأحجار الكريمة.. كان يختلس أموال البنك ويحولها إلى مجوهرات يودعها خزائن البنك وأكبر الظن أنه كان مع مرور الوقت يستبدل تلك المجوهرات بأخرى زائفة يودعها خزائن البنك ويحتفظ بالمجوهرات الحقيقية فى خزائنه الخاصة بغرفة مكتبه.

وبعد أن فرغ من إعداد خطته وشرع فى تنفيذها ضرب موعداً لمستر (لوين) الذى أوقعه سوء حظه فى طريقه وجعله ينتصر عليه فى صفقة أو صفقتين.. ثم أحدث ثقباً فى الخزانة وأصدر تعليماته باقتياد الزائر إلى قاعة المكتبة فور حضوره، وغادر البيت.

وهنا كف بوارو عن الكلام وتناول بيضة مسلوقة، ونظر إليها وقطب حاجبيه وقال:

ـ أليس عجيباً أن تبيض كل دجاجة بيضة تختلف فى حجمها عن بيض غيرها من الدجاج؟ كيف يمكن والحالة هكذا إيجاد نوع من التناسق على مائدة الطعام؟ أما كان يجدر بالتاجر أن يفرز البيض وفقاً لحجمه.

فصاح جاب فى ضيق وفروغ صبر:

ـ دعنا من البيض الآن، ودع الدجاجات تضع بيضاً مربعاً إذا شاءت.. وحدثنا أين ذهب صديقنا دافنهايم بعد أن غادر القصر.. هذا

إذا كنت تعلم.

- ذهب إلى المخبأ.. إنه رجل منحرف ولكن له عقلية جبارة.. وخلاياه الرمادية من الطراز الأول.

- هل تعرف أين اختبأ؟

- طبعاً أعرف.

- أين بحق السماء؟ أخبرنا..

فأخذ بوارو يجمع قشر البيض فى صحفته حتى جعل منه كومة واحدة وضع فوقها قدحاً، ثم نظر إلينا وابتسم وقال:

- إنكما رجلان ذكيان.. فهل تساءلتما كما تساءلت أنا لو كنت فى مكان هذا الرجل فأين أختبئ؟ بماذا تجيب على هذا السؤال يا هاستنجز؟

فأجبت:

- أظن أننى لو كنت مكانه لما فكرت فى الفرار ولبقيت فى قلب لندن أركب الأتوبيس وانتقل بمترو الأنفاق، وأنا مطمئن ٩٠ فى المائة إلى أن أحداً لن يتعرف على.. إن هناك نوعاً من الأمان وسط جموع الجماهير.

فنظر بوارو إلى جاب وقال:

- وأنت أيها الصديق؟

فأجاب المفتش:

- إننى لا أوافق مستر هاستنجز ولو كنت مكان دافنهايم لأطلقت ساقى للريح.. فتلك هو فرصتى الوحيدة.. ولابد أن أكون قد تدبرت الأمر سلفاً، وأعددت (يختاً) أرحل به إلى أقصى الأرض قبل أن يشرع البوليس فى مطاردتى.

ونظرنا - كلانا - إلى بوارو.. وسألناه بصوت واحد:

- ما رأيك يا مسيو بوارو؟

فظل صامتاً لحظة، ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة غريبة:

- لو أردت الاختفاء عن أعين البوليس، فهل تعرفان أين اختفى؟ فى السجن.

- ماذا تقول؟

- أنكم تبحثون عن مسز دافنهايم سيدة لطيفة ولكنها لسيت على جانب كبير من الذكاء، ومع ذلك فإننى أعتقد أنك لو ذهبت بها إلى سجن (بوستريت) وواجهتها بالرجل المدعو بيلى كيلرت فإنها ستتعرف عليه فى الحال رغم أنه حلق شعره ولحيته وشاربه وأزال حاجبيه، إن الزوجة تستطيع معرفة زوجها مهما تغير شكله وتبدلت ملامحه.

- بيلى كيلرت؟

ولكن هذا المجرم معروف لرجال البوليس؟

- ألم أقل لك أن دافنهـايم رجل بارع؟ لقـد دبر لعـبـتـه منذ وقت طويل.. فلم يذهب إلى بونس أيرس فى الخـريف الماضى كمـا أشـاع.. وإنمـا بقى فى لندن ليبرز شخصية بيلى كيلرت، ودخل السجن وقضى فيه ثلاثة شهور حتى لا يرتاب رجال البوليس فى أمره عندما يحين الوقت..

كان يلعب لعبته الخطيرة للاستيلاء على ثروة ضخمة.. وللحصول فى ذات الوقت على حريته، وهما مطلبان جديران بكل تضحية مهما بلغت.. ولكن حدث..

- نعم؟

- بعد خروجه من السجن، كان يتعين عليه أن يستخدم شعراً مستعاراً ليبدو فى مظهره القديم المعروف عن مستر دافنهايم، ولما كان الاحتفاظ بالشعر المستعار فى فراش الزوجية أمر بالغ الصعوبة، فإن الرجل لم يجد بدا من الابتعاد عن زوجته.. ولقد اكتشفت أنت أنه وزوجته يبيتان فى غرفتين منفصلتين منذ ستة شهور.. أى منذ عودته من رحلته المزعومة إلى بونس أيرس.

فحقق هذا الاكتشاف كل ظنونى.

إن البستانى الذى قال أنه رأى سيده يسير خارج البيت كان على

صواب فقد قصد المليونير إلى كوخ القوارب، وهناك خلع ثيابه، وارتدى ثياب المتشرد بيلى كيلرت التى عرف كيف يخفيها تماماً عن خادمه، ثم ألقى بثيابه هو فى البحيرة ومضى فى تنفيذ خطته فرهن الخاتم بطريقة تكاد تكون علنية، واعتدى بعد ذلك على رجل البوليس، الذى اقتاده إلى السجن، حيث لا يخطر ببال أحد أن يبحث عنه بداخله.

فهتف جاب:

ـ هذا مستحيل.

فقال بوارو وهو يبتسم: سل مسز دافنهايم.

وفى اليوم التالى، تسلم بوارو خطاباً مسجلاً ما أن فضه حتى وجد به ورقة مالية ذات خمسة جنيهات، فقطب حاجبيه.

وهتف:

ـ يا إلهى!! ماذا أفعل بنقود جاب المسكين؟ آه.. لقد خطر لى خاطر.. سنتناول طعام العشاء معاً نحن الثلاثة.. فإننى إذا احتفظت بهذا المبلغ فكأننى أسرق طفلاً.. ماذا يضحكك يا صديقى؟؟



شقة بالطابق الثالث

هتفت باتريشيا جارنيت فى غيظ:
يا للشيطان! أننى لا أجده.

وأخذت تبحث فى حقيبتها الحريرية الصغير بلهفة وعصبية، بينما راح شابان وفتاة أخرى يرقبونها فى قلق، وينتظرون نتيجة البحث بفروغ صبر.

كانوا جميعاً وقوفاً أمام شقة باتريشيا، وباب الشقة مغلق، وهى تبحث عبثاً عن المفتاح.

وأخيراً قالت فى يأس:

- لا جدوى من البحث، أنه ليس فى الحقيبة، فماذا سنفعل الآن؟

فقال أحد الشابين، ويدعى جيمى فوكنر.

- وآسفاه! ما قيمة الحياة بلا مفتاح للشقة.

- كان شاباً قصير القامة عريض الكتفين، له عينان زرقاوان صافيتان، فصاحت باتريشيا تزجره:

ـ ليس هذا وقت المزاح يا جيمى.. أننا فى موقف حرج.

قال الشاب الآخر، ويدعى ونوفان بايلى:

ـ ابحثى فى حقيبتك مرة أخرى يا باتريشيا.. وستجدينه فى مكان ما.

قال ذلك بصوت هادئ خامل، يناسب قامته الفارعة ونظراته الحالمة.

فقالت الفتاة الأخرى، وتدعى ملدريد هوب:

ـ هل أنت واثقة من أنك أخذته معك يا باتريشيا.

فصاحت باتريشيا:

ـ طبعاً واثقة.. وأعتقد أنى أعطيته لأحدكما.

وتحولت إلى الشابين ورمقتهما بنظرة اتهام.

واستطردت قائلة:

ـ إننى طلبت إلى نوفان أن يأخذه.

ولكن لم يكن من السهل عليها أن تجد كبش فداء، فقد أنكر دنوفان بشدة. ونفى أنه أخذ المفتاح، وتصدى جيمى لتأييده إذ قال:

ـ إننى رأيتك تضعينه فى حقيبتك يا باتريشيا.

فقالت باتريشيا:

ـ إذن لابد أنه سقط من أحدكما عندما التقطتما حقيبتى.. فإننى اذكر أن الحقيبة أفلتت من يدى مرتين أو ثلاث.

فقال دنوفان ساخراً:

- مرتين أو ثلاث؟ إنها سقطت منك عشرات المرات، فضلاً عن أنك كنت تنسينها فى كل مناسبة.

وقال جيمى:

- إنى أعجب كيف لم تسقط محتويات الحقيبة كلها.. إنها لمعجزة ألا تفقدى سوى مفتاح الشقة.

فقالت ملدريد:

- المهم الآن هو كيف سندخل الشقة؟

كانت فتاة رزينة متزنة التفكير.. ولكن ليس لها جمال باتريشيا وجاذبيتها.

ونظر الشبان الأربعة إلى الباب المغلق فى يأس، وقال جيمى:

- ألا يستطيع البواب أن يمد إلينا يد المعونة؟ أليس لديه مفتاح إضافى؟

فهزت باتريشيا رأسها وقالت أنه ليس للشقة إلا مفتاحان، أحداهما معلق على جدار المطبخ، والثانى كان فى الحقيبة.

- ثم استطردت قائلة:

- لو كانت الشقة فى الطابق الأرضى، لأمكن تحطيم إحدى النوافذ

والدخول بطريقة ما .. أصغ إلى يا دنوفان، ألا تستطيع تسلق المواسير كما يفعل لصوص الفنادق؟

ولكن دونوفان رفض بحزم أن يفعل ما يفعله لصوص الفنادق.

فقال جيمى:

ـ من الصعب الوصول إلى الطابق الرابع عن طريق المواسير.

فقال دنوفان:

ـ ألا يوجد سلم للحريق؟

ـ كلا..

ـ هذا خطأ .. عمارة تتألف من خمسة طوابق كان يجب أن يكون بها سلم للحريق.

فقالت باتريشيا:

ـ دعنا مما كان يجب، فذلك لا يفيدنا الآن.. يا إلهى! أليست هناك وسيلة أدخل بها شقتى؟

فقال دنوفان:

ـ ألا يوجد مصعد أو شىء كالمصعد لإرسال البضائع إلى الطوابق الأعلى؟

فصاحت باتريشيا:

ـ آه.. نعم.. يوجد صندوق يتحرك على أسلاك مجدولة، لنقل الفحم إلى الطوابق العليا.

فقال جيمى:

ـ هو ذا حل لا بأس به.

فقالت ملدريد:

ـ ولكن هب أن باب المطبخ كان مغلقاً بالمزلاج من الداخل؟

فقال دنوفان:

ـ لا أظن ذلك.

وقال جيمى:

ـ إن باتريشيا لا تغلق الأبواب بالمزاليج.

وقالت باتريشيا:

ـ لا أعتقد أننى أغلقت الباب بالمزلاج من الداخل لقد أخرجت صندوق القمامة فى الصباح، ولكنى واثقة من أننى لم أغلق الباب بالمزلاج.

فقال دنوفان:

ـ إذا صح ذلك فإن هذه الحقيقة ستفيدنا.. وبهذه المناسبة يا باتريشيا.. إن إهمال المزاليج سوف يضعك تحت رحمة اللصوص كل ليلة.

ولكن باتريشيا لم تكن على استعداد لسماع النصائح والارشادات، فهزت كتفيها وقالت:

- هلموا بنا..

وأسرعت تهبط السلم، وتبعها الآخرون.

* * *

قادت باتريشيا زملاءها، فى ممر مظلم يؤدى إلى منور العمارة، وهناك وجدوا المصعد المستخدم فى نقل الفحم، وكان به صندوق قمامة، فرفعه دنوفان ووقف مكانه وقال:

- ولكن ما معنى هذا؟ هل سأذهب وحدى؟ ألا يشترك أحد معى فى هذه المغامرة؟

فقال جيمى:

- سأذهب معك.

ووقف بجوار دونوفان، وقال فى ارتياب:

- أظن أن المصعد يحتملنا.

فقالت باتريشيا التى لم تكن لها أية خبرة فى حساب الأوزان:

- هل تظن أنكما أثقل وزناً من طن من الفحم؟

فقال دنوفان فى مرح:

- هذا ما سنعرفه الآن على كل حال.

قال ذلك وراح يجذب السلك المجدول، وتحرك المصعد بصرير مسموع.. وما لبث أن غاب فى ظلام المنور.

قال جيمى فى ضيق:

- إنه يحدث صوتاً مزعجاً.. ترى ماذا سيظن بنا سكان العمارة؟

فأجاب دنوفان:

- سيتوهومن أننا أشباح.. أو لصوص.. إن جذب هذا السلك عملية شاقة تماماً.. مسكين بواب العمارة، لم أكن أظن أنه يقوم بهذه العملية.. هل أحصيت الطوابق التى مررنا بها يا جيمى؟

- كلا.. نسيت.

- لا بأس، أنا أحصيتها، نحن الآن أمام الطابق الثالث.. والطابق التالى هو الرابع.

- ولكن هب أننا وجدنا باب مطبخ باتريشيا مغلقاً من الداخل؟

ولكن مخاوفه لم تتحقق، إذ لم يكد دنوفان يدفع الباب الخشبى بيده حتى فتح.. ودخل الشابان المطبخ المظلم.

قال دنوفان:

- كان يجب أن نتزود ببطارية لهذه العملية.. إنى أعرف مطبخ

باتريشيا جيداً، وسوف نتعثر فى عشرات الأوانى والأطباق قبل أن نهتدى إلى مفتاح الكهرباء.. قف حيث أنت يا جيمى.. لا تتحرك قبل أن أضىء النور.

وراح يتحسس طريقه فى المطبخ بحذر، وأفلتت من فمه صيحة ألم عندما اصطدم بإحدى الموائد.. ولكن لم يلبث أن وصل إلى الجدار وأهتدى إلى مفتاح الكهرباء.

وأدار المفتاح، وصاح على الأثر:

- يا للشيطان..!

فسأله جيمى:

- ماذا حدث؟

- المصباح لا يضىء.. يبدو أنه احترق.. ولكن صبراً لحظة.. سأضىء قاعة الاستقبال.

وكانت قاعة الاستقبال تقع فى نهاية الدهليز المواجه للمطبخ مباشرة، فسمع جيمى وقع أقدام دنوفان وهو يسير فى الدهليز، ثم سمعه يشتم ويصخب، ورجح أن يكون قد اصطدم بشىء.. فأخذ هو بدوره يتلمس طريقه فى المطبخ.. وصاح بزميله يسأله:

- ماذا حدث؟

- لا أعلم.. إن الغرف فى الظلام تختلف عنها فى النور.. كل شىء

فى غير مكانه.. المقاعد.. والموائد.. إننى لا أعرف كيف اتجه.

ولكن جيمى كان قد لحق به.. وكان أوفر منه حظاً.. لأنه أهتدى إلى مكان مفتاح الكهرباء وأضاء النور.

وفى اللحظة التالية، كان كل من الشابين ينظر إلى الآخر فى ذعر.

لم تكن قاعة الاستقبال هى قاعة باتريشيا.

لقد دخلا شقة غير شقتها.

فأولاً كان أثاث القاعة أكثر عشر مرات من الأثاث فى قاعة باتريشيا.. وذلك يفسر حيرة دنوفان وتخبطه بين المقاعد.. والموائد.

وثانياً.. كان فى وسط هذه القاعة مائدة كبيرة لا مثيل لها فى قاعة باتريشيا، وعليها غطاء من القطيفة الحمراء.

ونظر الشابان فى هلع إلى المائدة.. وإلى كومة صغيرة من الرسائل فوقها، ثم مد جيمى يده وتناول إحدى الرسائل وقرأ عنوانها بصوت مسموع:

(مسز أرنستين جرانت).

ثم رد الرسالة إلى مكانها على المائدة وتمتم قائلاً:

ـ يا إلهى.. هل تظن أنها سمعتنا؟

ـ ستكون معجزة إذا لم تكن قد سمعت صياحك وارتطامك بقطع الأثاث.. هلم بنا بحق السماء.. دعنا نخرج بأسرع ما نستطيع.

وأطفأ النور، وسار على أطراف أقدامهما إلى المطبخ فإلى المصعد.. وتنفس جيمى بارتياح عندما استقرت أقدامها فى المصعد.. قال:

- تعجبنى المرأة التى تنام نوماً عميقاً كمسز أرنستين جرانت.

وقال دنوفان وهو يجذب السلك ليحملهما المصعد إلى الطابق الرابع.

الآن عرفت لماذا أخطأنا الطابق.. لقد بدأنا رحلتنا من القبو.

- أمل ألا نخطى مرة أخرى، فإن أعصابى لا تتحمل صدمات أخرى من هذا النوع.

ولم تصادفهما عقبات أو مفاجآت أخرى. فقد فتح باب مطبخ باتريشيا بسهولة.. ولم يجدا مشقة فى إضاءة النور.

وما هى إلا لحظة حتى فتحا باب الشقة للفتاتين اللتين كانتا تنتظران بالخارج.

وصاحت باتريشيا باستياء:

- لماذا أبطأتما..؟ إننا ننتظركما منذ أجيال.

فقال دنوفان:

- يا لها من مغامرة.. لقد كان من الممكن أن يقبض علينا ونسلم للبوليس كشخصين خطرين على الأمن.

ودخلت باتريشيا قاعة الاستقبال وأضاءت النور وألقت بحقيبتها

على أحد المقاعد وراحت تصغى بفضول إلى رواية دنوفان عن مغامرته فى الطابق الثالث، وأخيراً قالت:

- يسرنى أنها لم تشعر بكما ولم تقبض عليكما.. أكبر الظن أنها عجوز ضيقة الصدر.. لقد أرسلت إلى ورقة صباح اليوم تقول فيها أنها تريد مقابلتى.. لا شك أنها تريد أن تشكو من شىء.. من البيانو على الأرجح.. لماذا يقدم الناس الذين لا يطيقون سماع البيانو على السكنى فى عمارات مزدحمة كهذه العمارة؟ ماذا أصابك يا دنوفان؟ هل جرحت يدك؟ إنها ملوثة بالدم..؟ أسرع إلى الحمام واغسلها.

فنظر دنوفان إلى يده فى دهشة.. ولكنه انطلق إلى الحمام كما أمرته باتريشيا.

وبعد قليل، سمع جيمى صوت دنوفان يناديه فصاح به:

- ماذا تريد؟ هل الجرح خطير؟

ولحق بصديقه.

فقال دنوفان:

- إننى لم أصب بأى جرح.. انظر.

وبسط يده التى غسلها، فتأملها جيمى ولم يجد بها جرحاً أو حتى مجرد خدش.

قال دنوفان:

ـ هذا غريب.. كانت يدى ملوثة بدماء كثيرة، فمن أين جاءت؟

وفجأة، أدرك ما كان زميله الذكى أسرع منه فى إدراكه.. قال:

ـ يا للشيطان.. لابد أن يدى تلوثت بالدم فى تلك الشقة.

ثم صمت، وراح يفكر فيما تنطوى عليه هذه الكلمات من احتمالات.

وسأله جيمى:

ـ هل أنت واثق من أنه دم وليس طلاء؟

فهز دنوفان رأسه وأجاب:

ـ إنه دم.

ومرت بجسده رعدة، ونظر كل منهما إلى الآخر، وقد جالت بخاطر كل منهما نفس الفكرة، وأخيراً قال جيمى:

ـ ما رأيك فى أن نعود إلى الشقة ونلقى عليها نظرة؟ لكى نتأكد من أن كل شىء على ما يرام.

ـ لا يجب أن نقول لهما شيئاً.. لقد أرتدت باتريشيا مئزرها لتعد طبقاً من البيض.. إننا سنعود بسرعة قبل أن تغادر مطبخها.

ـ حسناً.. هلم بنا.. رغم إننى على يقين من أننا لن نجد شيئاً غير عادى.

استخدم الشابان المصعد مرة أخرى للوصول إلى الطابق الثالث،

ووجدا طريقهما فى المطبخ بسهولة، وأضاءا النور فى قاعة الاستقبال.

وقال دنوفان:

- لابد أن يدى تلوثت بالدم هنا، فى هذه القاعة، لأننى لم ألمس شيئاً فى المطبخ.

وأجال البصر حوله، وحذا جيمى حذوه.. وقطبا حواجبهما، كان كل شىء نظيفاً، ومرتباً... ولا أثر هناك لجريمة أو معركة، أو عنف.

وفجأة، حملق جيمى أمامه وصاح وهو يطبق بيده على ساعد زميله:

- انظر.

فنظر دنوفان إلى حيث أشار جيمى.. وأفلتت من فمه أهه دهشة.

ذلك أنه رأى قدماً تطل من تحت ستار النافذة.. قدام امرأة.. فى حذاء من الجلد.

وأسرع جيمى إلى الستار، ورفعه بحدة.. ووجد فى فجوة النافذة جثة امرأة ممددة على الأرض، وحولها بركة من الدماء.

كان من الواضح أن المرأة ميتة، ومع ذلك فقد هم جيمى بأن يرفع رأسها.. ولكن دنوفان صاح به.

- من الأفضل ألا تفعل ذلك.. لا تمس شيئاً قبل أن يأتى رجال البوليس.

- رجال البوليس آه.. طبعاً.. يا لها من جريمة بشعة!! ترى من

تكون هذه السيدة يا دنوفان؟ هل تعتقد أنها مسز أرنستين جرانت؟

- ربما.. وعلى كل حال.. إذا كان في الشقة أشخاص أخرون.. فإنهم يعرفون كيف يصمتون صمت القبور.

- ماذا سنفعل الآن.. هل ننطلق إلى الشارع ونأتى بأحد رجال الشرطة.. أو نتصل بالبوليس تليفونياً من شقة باتريشيا؟

أظن أن من الأفضل الاتصال بالبوليس تليفونياً، هلم بنا نخرج من الباب، وكفانا الليلة صعوداً وهبوطاً بذلك المصعد ذى الرائحة الكريهة.

فوافق جيمى، ولكنه وقف باب الشقة متردداً وقال:

- أليس من الحكمة أن يبقى أحدنا هنا للحراسة والمراقبة ريثما يحضر رجال البوليس؟

فأجاب دنوفان:

- هذا عين الصواب.. أبق أنت هنا وسأصعد إلى شقة باتريشيا لاتصل بالبوليس.

قال ذلك وأسرع إلى الطابق الرابع، ودق جرس الباب ففتحته باتريشيا.

كانت موردة الخدين، ورائعة فى مئزرها.

فتحت عينيها فى دهشة حين أبصرت به وهتفت قائلة:

- أنت؟ ولكن كيف.. هل حدث شىء يا دنوفان؟

فأمسك بيديها وأجاب:

- كلا يا باتريشيا.. كل شىء على ما يرام.. ولكننا اكتشفنا أمراً غير سار بالشقة التى تقع أسفل شقتك.. وجدنا فيها امرأة ميتة.

- يا إلهى.. هل أصابتها نوبة.. أو مرض مفاجئ؟

- كلا.. يبدو أنها قتلت.

وكانت يداها لا تزالان بين يديه، فتركتهما هناك.. بل وشدت بهما على يديه.

باتريشيا العزيزة.. كم كان يحبها، ترى هل تشعر نحوه بمثل هذا الحب؟ إنه يحس أحياناً بأنها تحبه.. ويحس أحياناً أخرى بأن جيمى فوكنر..

وهنا تذكر أن جيمى ينتظر فى الشقة بفروغ صبر فقال:

- يجب أن نتصل بالبوليس يا عزيزتى باتريشيا.

وهنا سمع صوتاً وراءه يقول:

- هذا الشاب على حق يا آنسة.. وإلى أن يأتى رجال البوليس.. أرجو أن تسمحى لى بأن أقدم كل معونة ممكنة.

وكان الاثنان يقفان بباب الشقة، فأطلا برأسهما للبحث عن صاحب الصوت، ورأيا أمامهما رجلاً قصير القامة كث الشاربين له

رأس كالبيضة..

وأحنى الرجل قامته لباتريشيا باحترام شديد وقال:

- إننى يا آنسة، كما تعلمين، أقيم فى الشقة التى تعلو شقتك، وقد استأجرتها باسم أوكونور ولكن هذا ليس اسمى.. إن لى اسماً آخر.. ولهذا تقدمت لأعرض عليك خدماتى.

قال ذلك وأخرج من جيبه بطاقة قدمها إليها فقرأتها وصاحت:

- مستر هركيول بوارو.. مستر بوارو.. البوليس السرى المشهور؟ وهل ستعاوننا حقاً؟

- هذا ما أعتزمه.. بل لقد كدت أعرض عليك خدماتى قبل الآن.

فنظرت إليه فى حيرة ودهشة فقال:

- إننى سمعت حديثكم عن المفتاح المفقود، ومناقشاتكم عن الطريقة التى يمكنكم بها دخول الشقة، ولما كنت بارعاً فى فتح الأقفال، وفى استطاعتى أن أفتح باب شقتك، فإننى هممت بأن أعرض عليك خدماتى.. ولكنى عدت وترددت.. إذ خشيت أن تسيئ الظن بى.

فضحكت باتريشيا، والتفت بوارو إلى دونوفان وقال:

والآن أيها الشاب.. أرجو أن تتصل بالبوليس فوراً.. أما أنا فإننى سأهبط إلى الطابق الثالث.

فذهبت باتريشيا برفقته، ووجدا جيمى حيث تركه دنوفان.. فأوضحت له باتريشيا سبب وجود بوارو، وروى جيمى بدوره قصة مغامرته مع دنوفان فى الشقة، وأصغى إليه بوارو باهتمام، ثم قال:

- تقول إن باب المطبخ لم يكن موصداً، وأنكما دخلتما المطبخ وأدرتما مفتاح النور، ولكن المصباح لم يضىء؟

- نعم.

وكان بوارو يسير نحو المطبخ وهو يتكلم، فلما وصل إليه، أدار مفتاح النور فأضاء المصباح.

صاح:

- آه.. ها هو المصباح قد أضاء الآن.. ترى ماذا.. ولم يتم عبارته، ووضع أصبعه على شفته وهمس:

- صه.

وأصاغ السمع.

كان هناك صوت غطيط واضح.

فهتف قائلاً:

- آه.. هلم بنا إلى غرفة الخدم.

واجتاز المطبخ سيراً على أصابع قدميه.. ومشى فى دهليز قصير

ينتهى بباب.. ففتح الباب وأضاء النور..

رأى أمامه غرفة ضيقة جداً.. يحتلها فراش صغير واحد.. وعلى الفراش، كانت ترقد فتاة موردة الخدين مفتوحة الفم، تغط فى نومها غطيطاً مزعجاً.

فقال بوارو وهو يطفىء النور:

ـ إنها لن تستيقظ الآن.. فلندعها نائمة حتى يأتى رجال البوليس.

وعادوا إلى قاعة الاستقبال، وهناك لحق بهم دنوفان.

قال: وهو يلهث.

ـ سيحضر رجال البوليس فوراً.. هكذا قالوا لى، وطلبوا ألا نمس شيئاً.

فقال بوارو:

ـ لن نمس شيئاً.. ولكننا سننظر فحسب.

وراح يتحرك فى الغرفة.

وكانت ملدريد قد جاءت مع دنوفان، فوقف الشبان الأربعة يرقبونه فى فضول.

وقال دنوفان:

ـ الشىء الذى لم أستطع أن أفهمه يا سيدى.. هو كيف تلوثت يدى بالدم رغم أننى لم أقترب من الستار حيث توجد الجثة؟

فأجاب بوارو:

- يا صديقى الشاب.. إن الجواب أمام عينيك.. ما لون غطاء المائدة لونه أحمر، أليس كذلك؟ مما لا شك فيه إذن أنك وضعت يدك على المائدة.

- هذا صحيح.. إننى وضعت يدى على المائدة، ولكن..

ولم يتم عبارته.. فقد انحنى بوارو على المائدة، وأشار إلى بقعة داكنة فى الغطاء الأحمر وقال:

- هنا ارتكبت الجريمة.. ثم نقلت الجثة بعد ذلك.

قال ذلك ووقف منتصب القامة، وأجال بصره حول الغرفة.

لم يتحرك، ولم يلمس شيئاً، ومع ذلك فقد حس الشبان الأربعة الذين وقفوا يرقبونه.. كان كل أداة فى الغرفة تبوح بأسرارها لعينيه القويتى الملاحظة.

وأخيراً هز بوارو رأسه مراراً علامة الرضى، وأفلتت من فمه تنهيدة قصيرة وتمتم قائلاً:

- تماماً.

فسأله دونوفان فى فضول:

- أى شىء تعنى يا سيدى؟

فأجاب بوارو:

ـ أعنى شيئاً ترونه جميعاً بعيونكم، وهو أن الغرفة مكتظة بالأثاث.

فابتسم دونوفان وقال:

ـ لذلك تعثرت فى سيرى ولم أعرف موقع قدمى.. كل شىء يختلف تماماً عنه فى غرفة باتريشيا.

فقال بوارو:

ـ ليس كل شىء.

فنظر إليه دنوفان متسائلاً، فقال بوارو:

ـ أعنى أن هناك أشياء ثابتة لا تتغير.. كالنوافذ والأبواب والمدافئ فى العمارات المتعددة الطوابق.. إنها دائماً فى نفس المكان فى جميع الطوابق.

فقالت ملدريد:

ـ هذا أمر بديهى..

فأجاب بوارو:

ـ أعلم ذلك.. إنما أردت أن ألفت صديقك إلى ضرورة تحرى الدقة فى التعبير.

وسمعوا فى هذه اللحظة وقع أقدام كثيرة على درج السلم، ثم فتح الباب ودخل ثلاثة رجال، أحدهم مفتش بوليس، والثانى شرطى برتبة

رقيب، والثالث طبيب البوليس.

ورأى المفتش بوارو وعرفه وحياه باحترام، ثم التفت إلى الشبان الأربعة وقال:

- أريد أن أسمع أقوالكم جميعاً.. ولكن يجب أولاً أن..

فقاطعه بوارو قائلاً:

- لى اقتراح بسيط يا سيدى المفتش، وهو أن نعود إلى شقة هذه الآنسة حتى تستطيع إتمام عمل بدأته، وهو إعداد طبق من البيض.. ريثما تفرغ أنت من مهمتك هنا، ثم تلحق بنا لتلقى ما شئت من الأسئلة.

فوافق المفتش، وصعد بوارو والشبان الأربعة إلى شقة باتريشيا.

وهناك قالت هذه:

- أنت رجل ظريف يا مسيو بوارو.. وأنا واثقة من أنك ستحب الطبق الذى سأعده.

- أنا واثق من ذلك أيضاً يا آنسة.. إننى أحببت يوماً فتاة إنجليزية رائعة الجمال تشبهك كثيراً، ولكنها مع الأسف لم تكن تجيد طهو الطعام.

وكانت فى صوته رنة حزن، جعلت جيمى ينظر إليه فى فضول.

وتناول الحديث موضوعات مختلفة، وكان بوارو محدثاً لبقاً، فلم تمض بضع دقائق حتى نسى الجميع مأساة الطابق الثالث.

وما أن فرغوا من تناول الطعام الشهى الذى أعدته باتريشيا حتى دق جرس الباب.

كان القادم هو المفتش رايس، ومعه طبيب الشرطة، أما الرقيب، فقد بقى فى شقة المرأة القتيله لحراستها.

قال المفتش:

ـ إن الأمر واضح كالشمس يا مسيو بوارو.. وليس فيه غموض يستحق اهتمامك.. وإن كنت أشك فى أننا سنتمكن من اعتقال القاتل بسهولة.. إن ما أريد معرفته الآن.. هو كيف تم اكتشاف الجريمة.

فروى دنوفان وجيمى القصة، ونظر المفتش إلى باتريشيا وقال:

ـ لا يجب أن تهملى فى إيصاد باب المطبخ بالمزلاج يا آنسة.

فأجابت وقد مرت بجسدها رعدة:

ـ لن أهمل فى ذلك أبداً، حتى لا أقتل كما قتلت تلك السيدة المسكينة.

فقال المفتش:

ـ إن قاتل السيدة لم يدخل شقتها عن طريق باب المطبخ فقال بوارو:

ـ ألا تذكر لنا ماذا اكتشفت أيها المفتش؟

ـ لا أعتقد أنه يجوز لى أن أفعل ذلك يا مسيو بوارو.. ولكن بصفتك..

فقاطعه بوارو قائلاً:

- فى استطاعتك كذلك أن تطمئن إلى هؤلاء الشبان.. فلن يبوح أحد منهم بشىء من التفصيلات التى ستدلى بها.

- على كل حال، هذه التفصيلات ستصل إلى الصحف عاجلاً أو أجلاً.. ثم إن القضية فى الواقع ليس بها أسرار.. إن السيدة القتيله هى فعلاً مسز جرانت، وقد تعرف عليها بواب العمارة.

إنها تناهز الخامسة والثلاثين، وكانت تجلس أمام المائدة حين أطلقت عليها رصاصة من مسدس صغير أصابت رأسها وصرعتها على الفور.. وأكبر الظن أن القاتل كان جالساً أمامها فى الناحية الأخرى من المائدة.

وقد سقط رأسها على المائدة، ولهذا تلوث الغطاء بالدم.

فقالت ملدريد:

- ولكن كيف لم يسمع أحد صوت الطلق النارى.

- كان المسدس مزوداً بكاتم للصوت.. وبهذه المناسبة، هل سمع أحدكم الصرخة التى أطلقتها الخادمة عندما قيل لها أن سيدتها قد قتلت؟.. كلا.. طبعاً.. وذلك يفسر لكم لماذا لم يسمع أحد صوت الطلق النارى.

فقال بوارو:

- والخادمة.. ألم يكن عندها ما تقوله؟

- كانت أجازتها اليوم.. وكان معها مفتاح للشقة، وقد عادت حوالى الساعة العاشرة مساء، ووجدت الهدوء يسود الشقة فظنت أن سيدتها قد أوت إلى فراشها.

- ألم تدخل قاعة الاستقبال؟

- بل دخلتها ومعها الرسائل التى وردت فى بريد المساء، فوضعت الرسائل على المائدة ولم تلاحظ شيئاً غير عادى، تماماً كما حدث مع مستر فوكنر ومستر بايلى.. وذلك لأن القاتل أحسن إخفاء الجثة خلف الستار.

- ولكن.. أليس عجيباً أن يفعل القاتل ذلك؟

قال ذلك فى هدوء.. ولكن شيئاً فى صوته جعل المفتش يرفع رأسه بسرعة وينظر إليه.

أجاب:

- لا شك أنه لم يشأ أن تكتشف الجريمة قبل أن يتمكن من الفرار.

- ربما... استمر فى حديثك.

- قالت الخادمة أنها خرجت فى أجازتها فى الساعة الخامسة وقرر الطبيب أن الوفاة حدثت منذ أربع أو خمس ساعات.. أليس كذلك.

وكان الطبيب رجلاً قليل الكلام، فاكتفى بأن أومأ برأسه علامة الموافقة.

- شكراً لك.

واستطرد المفتش قائلاً:

ـ والساعة الآن الثانية إلا الربع.. ومعنى هذا أن الجريمة ارتكبت بين السادسة والسابعة مساءً.

ثم أخرج من جيبه ورقة مهشمة وقال:

ـ وقد وجدنا هذه فى جيب المرأة القتيله.. فى استطاعتك أن تفحصها.. فليست عليها أية بصمات.

فتناول بوارو الورقة وبسطها بين يديه، كانت تتضمن الرسالة التالية مكتوبة بحروف مطبوعة، منزوعة من بعض الصحف وموقعاً عليها بحرفى. ج. ف.

«سأحضر لمقابلتك فى الساعة السابعة والنصف مساء».

قال بوارو وهو يعيد الورقة إلى المفتش:

ـ أليس عجيباً أن يترك القاتل مثل هذه الرسالة التى تدينه؟

ـ لا شك أنه لم يكن يعلم أنها فى جيبها، ولعله ظن أنها أعدمتها.. إن لدينا أكثر من دليل على أنه كان فى منتهى الحذر.. فقد وجدنا المسدس الذى ارتكبت به الجريمة تحت الجثة.. ولم تكن عليه أية بصمات.. لأنه أزالها بمنديل حريرى.

ـ وكيف عرفت أنه منديل حريرى؟

فأجاب المفتش بلهجة المنتصر:

ـ لأننا وجدناه.. والظاهر أنه سقط منه وهو يسدل الستار ولم يشعر بفقده.

قال ذلك وقدم لبوارو منديلاً حريرياً كبيراً من نوع جيد، ولم يكن بوارو بحاجة إلى من يلفت نظره إلى الاسم المطرز فى وسط المنديل.

قرأ الاسم:

(جون فريزر)

فقال المفتش:

ـ نعم.. جون فريزر.. صاحب الرسالة الموقع عليها بحرفى ج. ف نحن نعرف الآن اسم الرجل الذى سنبحث عنه.. وأعتقد أننا سوف نعرف المزيد عنه متى اتصلنا بأصدقاء القتيله وأقاربها.

فهز بوارو رأسه ببطء وقال:

ـ كلا.. يا عزيزى.. لا أظن أنكم ستجدون جون فريزر، ذلك الرجل الغريب الذى يحرص على إزالة بصمات أصابعه على المسدس الذى ارتكب به جريمته.. ولا يحرص على المنديل الذى نقش عليه اسمه، أو يبحث عن الرسالة التى تدينه.

ـ كان متعجلاً.. هذا هو السبب.

ـ ربما.. ولكن هل رآه أحد عندما دخل العمارة؟

فأجاب المفتش:

ـ إنها عمارة كبيرة، يدخلها أناس كثيرون.

ثم التفت إلى الشبان الأربعة وسأل:

ـ هل رأيتم أحداً يغادر شقة القتيله؟

فهزت باتريشيا رأسها سلباً وأجابت:

ـ إننا خرجنا فى وقت مبكر.. حوالى الساعة السابعة.

ونهض المفتش، فرافقه بوارو إلى الباب، وهناك قال له:

ـ هل تسدى إلى معروفاً بسيطاً؟ أريد أن أفحص الشقة..

ـ طبعاً.. طبعاً يا مسيو بوارو.. إننى أعرف مبلغ تقدير الإدارة لك.. إن معى مفتاحين للشقة وسأترك لك أحدهما.. ولكنك ستجد الشقة خالية وليس بها أحد.. فقد دب الذعر فى قلب الخادمة ولم تشأ البقاء بمفردها وذهبت إلى بعض أقاربها.

ـ شكراً لك.

* * *

وعاد بوارو إلى الشقة وعلى وجهه دلائل التفكير، فقال جيمى يحدثه:

ـ يخيل إلى أنك لا تشعر بالارتياح يا مسيو بوارو.

- نعم.. إننى لا أشعر بالارتياح.

فسأله دنوفان:

- لماذا؟

فصمت بوارو ولم يجب، وظل صامتا لحظة ثم هز كتفيه وقال:

- أرجو لك ليلة سعيدة يا آنسة، لابد أنك تعبت من الطهو.

فضحكت باتريشيا وأجابت:

- لم أطه سوى البيض.. لقد جاء دنوفان وجيمى واصطحبانا إلى مطعم صغير فى «سوهو».. حيث تناولنا العشاء.

- ثم ذهبتم إلى أحد المسارح دون شك؟

- نعم.. شهدنا مسرحية «عينا كارولين».

- لابد أن عينى كارولين كانتا زرقاوين مثل عينيك.

فضحكت باتريشيا، وحياها بوارو، وأحنى قامته تحية للمدريد التى احتجزتها باتريشيا لتبيت معها، حتى لا تقضى الليلة وحدها.

وانصرف الشابان مع بوارو.. وهما بأن يودعاه.. ولكنه بادرهما بقوله:

- لقد سمعتمانى أعبر عن عدم ارتياحى.. والواقع أننى لا أشعر بالارتياح.. ولذلك سأقوم ببعض الأبحاث والتحريات الخاصة.. فهل تأتيان معى؟

فتحمسا للفكرة ووافقا على الفور..

وهبط الثلاثة إلى الطابق الثالث، وفتح بوارو باب الشقة بالمفتاح الذى أخذه من المفتش. وتوقع الشابان أن يذهب بهما بوارو إلى قاعة الاستقبال، ولكنه لم يفعل، وإنما قصد إلى المطبخ مباشرة.

وكان فى أحد أركان المطبخ صندوق للقمامة، فرفع بوارو غطاءه، وراح ينبش محتوياته بنشاط الكلب الذى يبحث عن عظمة بينما وقف الشابان يرقبانه فى دهشة بالغة.

وفجأة، صاح بوارو صيحة ظفر، وأخرج يده من الصندوق وبها قنينة صغيرة مسدودة.

هتف قائلاً:

ـ هذا ما كنت أبحث عنه.

وقرب القنينة من أنفه.. ثم هز رأسه وقال:

ـ وآ أسفاه.. يبدو أننى مزكوم.

فتناول دنوفان القنينة، ورفعها إلى أنفه.. قبل أن تصل إلى أذنيه صيحة التحذير التى أطلقها بوارو.. وكانت النتيجة أنه ترنح وسقط على الأرض فاقد الوعى.

فصاح بوارو:

ـ تباً للغبى.. من طلب إليه أن يفتح القنينة ويضع فيها أنفه؟

ثم التفت إلى جيمى وقال:

ـ جئنى بقليل من البراندى يا مستر فوكنر أننى رأيت زجاجة براندى فى قاعة الاستقبال.

فهرول جيمى إلى قاعة الاستقبال، ولكنه عندما عاد بالزجاجة كان دنوفان قد أفاق، واعتدل جالساً، وراح يصغى إلى محاضرة بوارو عن ضرورة توخى الحذر فى استنشاق المواد التى يحتمل أن تكون سامة.

أخيراً قال دنوفان وهو ينهض واقفاً:

ـ إننى أشعر بدوار.. وأظن أنه يحسن بى أن أعود إلى بيتى.. فقال بوارو:

ـ هذا خير ما تفعل يا بنى.

ثم التفت إلى جيمى وقال:

ـ انتظرنى هنا لحظة يا مستر فوكنر، فسأعود حالاً.

ورافق دنوفان إلى الباب، ثم إلى ما بعد الباب بقليل حيث دار بينهما حديث قصير، وعندما عاد إلى الشقة، وجد جيمى واقفاً فى قاعة الاستقبال.. وعيناه تطوفان بأرجائها فى دهشة وحيرة.

* * *

نظر جيمى إلى بوارو وقال:

- وماذا بعد ذلك يا مسيو بوارو؟

- لا شىء يا بنى.. لقد انتهت القصة.

- ماذا تعنى؟

- أعنى أننى عرفت الآن كل شىء.

- فازداد جيمى دهشة وحيرة وقال:

- إنك لم تفعل شيئاً هنا سوى أنك وجدت تلك القنينة الصغيرة، فهل هى مفتاح السر؟

- تماماً.

فهز جيمى رأسه ببطء، وقال:

- الواقع أننى لا أفهم شيئاً.. منذ لحظة، رأيتك غير راض عن الأدلة التى تجمعت لدى المفتش ضد المدعو جون فريزر، مهما تكن شخصيته.. والآن..

فقاطعه بوارو قائلاً:

- نعم.. مهما تكن شخصيته.. إذا كانت له شخصية على الاطلاق.

- إننى لا أفهم شيئاً.

- اصغ إلى يا بنى.. إن جون فريزر هو اسم فحسب.. اسم مطرز

على منديل حريرى.

- والرسالة التى وجدت فى جيب القتيل؟

- ألم تلاحظ أنها تتألف من حروف مطبوعة، مأخوذة من بعض الصحف؟ لماذا؟ سأقول لك لماذا.

إن خط اليد يمكن معرفة صاحبه.. والآلة الكاتبة يمكن الاهتداء إليها بأسرع مما تصور.. فإذا كان هناك شخص حقيقى يدعى جون فريزر وأراد أن يكتب رسالة للمرأة القتيلة. فإنه لا يلجأ إلى إحدى هاتين الوسيلتين.. أى الكتابة بخط اليد.. أو الكتابة بالآلة الكاتبة.

لقد تعمد القاتل استخدام الحروف المطبوعة، لأنها لا ترشدنا إليه، وتعمد أن يترك الرسالة فى جيب القتيل ليوهمنا بوجود شخص اسمه جون فريزر.. فى حين أن هذا الشخص لا وجود له.

فنظر إليه جيمى متسائلاً، واستطرد بوارو قائلاً:

- إننى بدأت البحث من أول نقطة لفتت نظرى، ولعلك سمعتنى حين قلت أن هناك أشياء فى غرف العمارات الكبيرة لا يتغير وضعها.. فهى فى هذه الغرفة مثلاً فى نفس المكان كما فى الغرفة التى فوقها.. أو الغرفة التى تحتها، وذكرت ثلاثة أشياء على سبيل المثال، هى النوافذ والأبواب والمدافئ.. وكنت أستطيع أن أذكر شيئاً رابعاً، هو مفاتيح النور.

ولم يبد على جيمى أنه فهم شيئاً، فمضى بوارو فى حديثه، وقال:

- إن صديقك دنوفان لم يقترب من النافذة حيث كانت توجد الجثة، وتلوثت يده بالدم لأنه وضعها على المائدة.

وقد سألت نفسى، لماذا وضع يده على المائدة؟ وعن أى شىء كان يبحث فى الظلام؟ وهنا يجب أن تذكر يا صديقى أن مكان مفتاح النور معروف.. إنه بجوار الباب كما هو الحال فى شقة الآنسة باتريشيا.. فلماذا إذن لم يبادر عندما دخل الغرفة إلى البحث عن المفتاح وإضاءة النور؟

ذلك كان الإجراء الطبيعى الذى يفرض نفسه.

ولقد قال دنوفان أنه أدار مفتاح النور فى المطبخ ولكن المصباح لم يضىء، ولكنه حين أدرت المفتاح أضاء المصباح بصورة طبيعية، فما معنى ذلك؟

معناه أنه لم يكن يريد النور فى ذلك الوقت بالذات إذ لو أضىء المصباح لاكتشفتما على الفور أنكما فى شقة أخرى غير الشقة المطلوبة.. ولما كان هناك مبرر لدخولكما هذه الغرفة.

- إلى أى شىء تهدف يا مسيو بوارو؟ إننى لا أفهمك.. ماذا تعنى؟

- إننى أعنى هذا.

وأخرج من جيبه مفتاحاً لوح به، فقال جيمى:

- هل هذا مفتاح هذه الشقة؟

- كلا يا صديقى.. إنه مفتاح شقة الآنسة باتريشيا.. الذى سرقه دنوفان بايلى من حقيبتها فى وقت ما خلال السهرة.

- ولكن لماذا.. لماذا..؟

- لماذا؟ لكى يفعل ما كان يريد أن يفعله.. وهو دخول هذه الشقة بطريقة لا تثير الشبهة.. وقد مهد لذلك من قبل، بأن رفع مزلاج المطبخ.. لكى يتسنى له الدخول بسهولة.

- وأين وجدت هذا المفتاح؟

فابتسم بوارو وأجاب:

وجدته حيث توقعت أن يكون... وجدته فى جيب مستر دنوفان.

هل رأيت تلك القنينة الصغيرة التى تظاهرت بأننى وجدتها فى صندوق القمامة؟ إنها كانت فخاً.. وقد وقع دنوفان فى الفخ.. وفعل الشىء الذى كنت أعرف أنه سيفعله، إذ فتح القنينة وقربها من أنفه.

كانت القنينة تحتوى على مادة الأيثيل كلوريد، وهى مادة مخدرة قوية وسريعة المفعول.. وقد أفادتنى هذه المادة كثيراً، لأننى انتهزت فرصة الدقيقة أو الدقيقتين اللتين غاب فيهما دنوفان عن وعيه لكى أفتش جيوبه.. وأعثر على الشيئين اللذين كنت واثقاً من وجودهما معه، وأحد الشيئين هو المفتاح، والشىء الآخر هو..

وكف عن الكلام لحظة ثم مضى يقول:

- إننى أرتبت فى وجاهة السبب الذى برر به المفتش إخفاء الجثة وراء الستار.. فقد قال المفتش أن القاتل أراد أن يكسب بعض الوقت.. ولكنى قدرت أن يكون السبب أهم من ذلك.. واتجه تفكيرى إلى البريد.. نعم يا صديقى.. إلى البريد.

إن بريد المساء يصل حوالى الساعة التاسعة والصنف.. فإذا قدرنا أن القاتل ارتكب جريمته، وبحث عن شىء معين ولم يجده.. وكان من المحتمل أن يصل ذلك الشىء بالبريد... فإنه كان لابد للقاتل أن يعود للبحث على ضالته.

ولكى يعود، كان لابد ألا تكتشف الخادمة الجريمة وإلا استولى البوليس على الشقة وأصبحت عودة القاتل إليها أمراً مستحيلاً..

ولهذا أخفى القاتل الجثة وراء الستار، فلم ترتاب الخادمة فى شىء.. ووضعت الرسائل على المائدة كالعادة.

- الرسائل.

- نعم.. الرسائل.

وأخرج بوارو من جيبه مظروفاً كبيراً واستطرد قائلاً:

- هذا هو الشىء الآخر الذى أخذته من جيب مستر دنوفان حين غاب عن وعيه.

ووضع المظروف أمام جيمى، فقرأ عليه هذا اسم «مسز أرنستين

جرانت» مكتوباً بالآلة الكاتبة.

قال بوارو:

- قبل أن نرى محتويات هذا المظروف يا مستر فوكنر، أريد أن أطرح عليك سؤالاً.. هل تحب الآنسة باتريشيا؟

- إننى أحبها من كل قلبى.. ولكنى لا أعتقد أن هناك أملاً.

- ظننت أنها تحب مستر دنوفان؟ لعلها بدأت تهواه.. ولكن ذلك مجرد بداية يا صديقى فما زال فى استطاعتك أن تجعلها تنساه.. وأن تقف معها فى محنتها.

فصاح جيمى فى هلع:

- محنتها؟ ماذا تعنى؟

- أعنى المتاعب التى ستواجهها.. سوف نبذل قصارى جهدنا لإخفاء اسمها.. ولكنى أعتقد أننا لن نوفق فى ذلك كل التوفيق.. لأنها سبب الجريمة.

قال ذلك وأخرج من المظروف خطاباً ووثيقة، أما الخطاب، فكان من أحد المحامين وقد جاء به ما يلى:

سيدتى العزيزة..

إن الوثيقة المرفقة بهذا، والتى بعثت بها إلينا هى وثيقة قانونية

سليمة.. ولا يؤثر على صحتها وسلامتها بحال أن يكون الزواج قد عقد فى بلد أجنبى.

وتفضلى يا سيدتى.. إلخ.. إلخ.

وأما الوثيقة.. فكانت وثيقة زواج دنوفان بايلى من أرنستين جرانت منذ ثمانية أعوام.

صاح جيمى:

- يا إلهى.. لقد ذكرت باتريشيا.. أنها تسلمت رسالة من هذه السيدة تطلب فيها مقابلتها.. ولم يخطر لباتريشيا ببال أن الأمر بهذه الأهمية.

فقال بوارو:

- لا شك أن دنوفان قد علم بأمر هذه الرسالة، فذهب فى المساء لمقابلة زوجته قبل أن يصعد إلى شقة باتريشيا، (ومن عبث الأقدار حقاً أن تستأجر المرأة التعسة شقة فى نفس العمارة التى تقيم فيها غريمتها).

وبعد أن قتل زوجته ذهب لقضاء السهرة معكم كأن شيئاً لم يحدث.. ولابد أن زوجته قد أخبرته بأنها أرسلت وثيقة الزواج إلى المحامى.. وأنها تنتظر الرد.

وليس ثمة شك فى أنه حاول أن يقنعها بأن زواجهما باطل، وأن ذلك هو ما حملها على إرسال الوثيقة إلى المحامى.

- إنه كان يبدو مرحاً طوال المساء.. ولكن كيف سمحت له بالإفلات

يا مسيو بوارو؟

ـ اطمئن يا بنى.. فإنه لن يفلت.

ـ إن باتريشيا هى التى تهمنى.. هل تظن أننى سأنجح معها.

ـ ذلك منوط بك.. فعليك أن تعمل على اجتذابها إليك وأن تساعدها على النسيان.. ولست أعتقد أنك ستجد فى ذلك أية صعوبة.



الحـادث

قـال إيفـانز: أؤكـد لك أنهـا نفس المرأة.. هذا أمـر لا شك فـيـه على الإطلاق.

فحملق الكابتن هايدوك فى وجه صديقه وتنهد.

كان يود لو أن إيفانز لم يتكلم بصيغة التأكيد.

فإن السنوات الكثيرة التى قضاها فى البحر قد علمته أن يزن الكلام قبل أن ينطق به.. وأن لا يتدخل فيما لا يعنيه.

أما صديقه إيفانز، الذى كان يعمل مفتشاً بإدارة المباحث الجنائية قبل أن يتقاعد، فإن فلسفته فى الحياة كانت تختلف تماماً.

كان شعاره فى وقت ما هو (الإمساك بطرف الخيط) والعمل على ضوء المعلومات المتاحة.. ثم تطورت أساليبه، وأصبح يسعى بنفسه للبحث عن المعلومات.

وقد اشتهر المفتش إيفانز بأنه شرطى نشيط يقظ، وبأنه كان جديراً بالترقيات التى ظفر بها.

وعلى الرغم من أنه اعتزل العمل، واستقر فى بيت الأحلام الذى شيده لنفسه فى القرية. فإن غرائزه المهنية لم يدركها ضعف أو وهن.

قال المفتش السابق فى هدوء:

ـ إننى لا أنسى وجهاً رأيته.. وقد عرفت مسز أنطونى.. ثم مسز ميرودين.. وأدركت على الفور أنهما شخص واحد.

فتحرك الكابتن هايدوك فى مقعده بقلق..

كان مستر ميرودين وزوجته، هما أقرب جيرانه، باستثناء إيفانز نفسه.. ولذلك ضايقه وأزعجه أن يتعرف إيفانز فى شخص مسز ميرودين على امرأة لعبت دوراً خطيراً فى قضية مشهورة.

قال فى تخاذل:

ـ لقد مر وقت طويل على هذه القضية.

فقال إيفانز الذى درج على تحرى الدقة:

ـ مرت تسع سنوات وثلاثة شهور.. هل تذكر تفاصيل للقضية؟

ـ أذكرها إجمالاً.. ولكنى أعرف التفاصيل.

فقال إيفانز:

- لقد ثبت أن أنطونى كان يتناول الزرنيخ كدواء ولذلك قضت المحكمة ببراءة زوجته.

- هل كان ينبغى أن يصدر حكم بإدانتها؟

- كلا.. كلا.. لقد كان الحكم سليماً.. بل كان الحكم الذى لا مناص على ضوء الأدلة المطروحة.

فقال هايدوك:

- ما دام الأمر كذلك فماذا يضايقك؟

- ومن قال لك أننى أشعر بالضيق؟

- ظننت متضايقاً..

- كلا.. بتاتاً.

- لقد انتهى الموضوع.. وإذا كان من سوء حظ مسز ميردوين فى وقت ما من حياتها أنها اتهمت بارتكاب جريمة قتل ثم صدر الحكم ببراءتها فإن..

فقال إيفانز:

- ليس من المألوف أن تعد البراءة من سوء الحظ.

فقال هايدوك بشىء من الضيق:

- أنت تفهم ما أعنى.. إذا كانت هذه السيدة المسكينة قد مرت بتلك

التجربة المخيفة فليس من شأننا أن ننبش الماضى.. أليس كذلك؟

فصمت.. إيفانز ولم يجب.

فقال هايدوك:

ـ لماذا لا تتكلم يا إيفانز؟ إن السيدة كانت بريئة.. أنت نفسك قلت ذلك.

ـ أنا لم أقل أنها كانت بريئة.. إنما قلت أن المحكمة برأتها.

ـ نفس المعنى.

ـ ليس دائماً.

وكان الكابتن هايدوك قد بدأ يدق غليونه على حافة مقعده لينفض رماد التبغ، فكف عن هذه العملية، واعتدل فى جلسته كمن استيقظ فجأة من غفوته وقال:

ـ آه.. بدأت أرى من أين تهب الريح.. هل تعنى أنها لم تكن بريئة؟

ـ لست أعنى ذلك تماماً.. الواقع أن أنطونى كان يتعاطى الزرنيخ، وكانت زوجته تقدمه له، وذات يوم تناول جرعة أكبر مما ينبغى.. فهل كان الخطأ خطأه..؟ هل كان خطأها؟.. لا أحد يعلم على وجه التحقيق.. وقد أخذت هيئة المحلفين بالمبدأ القائل: «الشك فى مصلحة المتهم» وهذا قرار سليم.. ولست أجد فيه ما يعيبه.. ولكنى رغم ذلك أتوق إلى معرفة الحقيقة.

فعاد هايدوك إلى تركيز اهتمامه على غليونه وقال:

- على كل حال، الأمر لا يعنينا من قريب أو بعيد.

- لست على يقين من ذلك.

- من المؤكد أن..

- أصغ إلى لحظة.. إننا رأينا الليلة مستر ميرودين وهو يقوم ببعض التجارب فى معمله.

- نعم، وأذكر أنه قال شيئاً عن بحوث (مارش) فى مادة الزرنيخ.. وألمح إلى أنك لابد تعرف الكثير عن هذا الموضوع، لأثره فى نطاق العمل الذى كنت تمارسه مفتش بوليس، وضحك، ومن المحقق أنه ما كان ليقول ذلك لو أنه أرتاب لحظة واحدة فى أن..

فقاطعه إيفانز قائلاً:

- هل تعنى أنه ما كان ليشير إلى هذا الموضوع لو أنه علم بأمر تلك القضية؟ إنك قلت لى أنه تزوج امرأته منذ مدة طويلة.. منذ ستة أعوام.. أليس كذلك؟ إننى على استعداد لأن أراهنك بأنه ليست لديه فكرة عن أن المرأة التى تزوجها هى نفسها مسز أنطونى بطلة القضية المشهورة.

فقال الكابتن هايدوك بخشونة:

- ومن المؤكد أنه لن يعرف هذه الحقيقة منى.

فلم يلق إليه إيفانز بالاً واستطرد قائلاً:

- إنك لم تدعنى أتم حديثى.. بعد أن أعاد ميرودين تجربة (مارش) على مادة الزرنيخ. قام بتسخين إحدى المواد فى أنبوبة اختبار، أذابها فى الماء، وأضاف إليها نترات الفضة.

تجربة متواضعة فى ذاتها وبسيطة جداً.. ولكن تصادف أن وقع بصرى على صفحة من كتاب كان بجوار ميرودين وهو يقوم بهذا الاختبار، فقرأت فيها أن المادة الناتجة من التجربة إذا تعرضت لحرارة مرتفعة فإنها تحدث انفجاراً هائلاً، وكذلك يجب وضعها فى ثلاجة.. مع عدم استخدامها إلا بكميات صغيرة، فحملق هايدوك فى وجه محدثه وقال:

- وما صلة ذلك بموضوعنا؟

- سأقول لك ما هى الصلة.. إن مهنتى، كرجل شرطة، فيها أيضاً اختبارات وتجارب.. فنحن نصيب الحقائق بعضها إلى بعض، ونزنها ونستمع إلى أقوال الشهود، ونسقط منها ما ينطوى على الغرض أو سوء النية.. صفوة القول أن عملنا لا يقل دقة عن الاختبارات التى يقوم بها الكيميائى.

ثم إن لدينا اختبارات وتجارب خاصة بجرائم القتل ونظريات معينة تثبت صحتها.. ومنها النظرية التى تقول (أن القاتل قلما يقنع بجريمة

واحدة).. أعط القاتل الوقت الكافى والاحساس بالأمان فيرتكب جريمة أخرى.

إنك تقبض على الرجل وتتساءل، ترى هل قتل زوجته أو لم يقتلها؟ إن الأدلة ضده ليست كافية.. أو ليست دامغة..

فى هذه الحالة عليك أن تبحث فى ماضيه.. فإذا وجدت أنه تزوج من نساء كثيرات.. وأن كل زوجاته قد توفين بطريقة عجيبة أو مريبة.. كان ذلك مؤشراً كافياً.. ليس من الناحية القانونية.. وإنما من الناحية الأخلاقية على الأقل.. وعلى هذا الأساس يمكنك أن تشرع فى جمع الأدلة.

ـ ثم؟

ـ سأصل الآن إلى النقطة الأساسية.. إن الأمر يصبح سهلاً إذا كان للمشتبه فيه ماض يمكن نبشه.. ولكن هب أن هذه أول جريمة للقاتل أو القاتلة؟

فى هذه الحالة، لا تكون للقاعدة التى ذكرتها أية قيمة أو فائدة فيطلق سراح المتهم ليبدأ حياة جديدة تحت اسم جديد.. وتكون المسألة حينئذٍ... هل سيقدم المجرم على ارتكاب جريمة جديدة أو لا يقدم؟

ـ هذه فكرة مخيفة..

ـ هل مازلت تعتقد أن لا شأن لنا بالموضوع؟

ـ نعم، فليس من حقك أن تنظر إلى مسز ميرودين إلا كامرأة بريئة تماماً.

فصمت المفتش السابق لحظة.. ثم قال ببطء:

ـ قلت لك أننا بحثنا فى ماضيها ولم نجد شيئاً.. ولكن هذه ليست الحقيقة كاملة.. لقد كان لها زوج أم، وعندما كانت فى الثامنة عشرة من عمرها أحبت أحد الشبان، فاستخدم زوج أمها نفوذه وسلطته للتفريق بينهما، وذات يوم خرجت مع زوج أمها للنزهة فوق ربوة خطرة، ثم وقع حادث.. إذ اقترب زوج الأم من حافة الربوة، فانهارت الأرض تحت قدميه وسقط فى هوة عميقة ولقى مصرعه.

ـ وهل تظن أن..

ـ كان حادثاً بالقضاء والقدر.. وعندما تناول أنطونى جرعة زائدة من الزرنيخ.. كان ذلك أيضاً حادثاً، وأعتقد أنها ما كانت لتتهم وتحاكم بتهمة قتل زوجها لو لم تثبت التحريات أن لها علاقة برجل آخر.. وبهذه المناسبة، لقد هجرها هذا الرجل واختفى من حياتها، ويبدو أنه لم يقتنع تماماً بحكم البراءة الذى أصدرته المحكمة.

أؤكد لك يا هايدوك أننى لا أشعر بالاطمئنان إلى هذه المرأة.. وأخشى أن يقع حادث آخر.

فهز البحار العجوز كتفيه وقال:

- إننى لا أعلم كيف يمكنك الحيلولة دون وقوعه.

- أنا أيضاً لا أعلم.

فقال هايدوك:

- الرأى عندى أن ننفض أيدينا من هذا الموضوع، إذ لا خير يرجى من التدخل فى شئون الآخرين.

ولكن هذه النصيحة لم ترق المفتش السابق.

كان رجلاً جسوراً قوى الشكيمة.. فودع صديقه ومضى إلى القرية وهو يفكر فى احتمالات القيام بعمل ناجح حاسم.

ودلف فى طريقه على مكتب للبريد ليبتاع بعض الطوابع، ووجد نفسه وجهاً لوجه أمام جورج ميرودين الرجل الذى يثير قلقه ومخاوفه.

كان أستاذ الكيمياء السابق رجلاً قصير القامة، زائغ البصر لطيف المعشر، شارد الذهن بصفة مستمرة وقد عرف إيفانز وحياه بلطف ثم انحنى ليلتقط بعض رسائل سقطت من يده وهو مشغول بتحية المفتش السابق.

وانحنى إيفانز بدوره، وكان أسرع من ميرودين وأخف حركة فالتقط الرسائل وقدمها إلى صاحبها.

ووقع بصره وهو يفعل ذلك على الاسم المطبوع على غلاف إحدى الرسائل.. فثارت شكوكه مرة أخرى.. وكانت هذه المرة أشد وأقوى.

ذلك أن الاسم الذى وقع عليه بصره، كان اسم إحدى شركات التأمين المعروفة.

وعلى الفور، حزم رأيه وقرر العمل.

ولا يدرى جورج ميرودين الساذج الطيب القلب كيف أستدرجه إيفانز الماكر إلى الحديث عن التأمين وشركاته.. كل ما يذكره هو أنه وجد نفسه يسير مع إيفانز جنباً إلى جنب فى الطريق إلى القرية.. وأن حديثهما كان يدور حول شركات التأمين.

والواقع أن إيفانز لم يجد أية صعوبة فى الوصول إلى هدفه، فقد تطوع ميرودين بأن قال من تلقاء نفسه أنه قام بالتأمين على حياته لمصلحة زوجته.. ثم سأل إيفانز عن رأيه فى مركز الشركة التى أبرم معها عقد التأمين.

قال:

ـ إننى قمت فى وقت ما ببعض الاستثمارات الطائشة، وكانت النتيجة أن إيراداتى انكمشت كثيراً.. فإذا حدث لى شىء فإن زوجتى ستجد نفسها فى مأزق، ولكن مبلغ التأمين سوف يعوضها ويدعم مركزها المالى.. ويهيئ لها حياة سهلة.

فقال إيفانز بغير اهتمام:

ـ ألم تعارض زوجتك هذه الفكرة؟ بعض الزوجات يعترضن عادة

بدافع التشاؤم.

فابتسم ميرودين وأجاب:

- كلا.. إن مرجريت امرأة عملية، ولا تؤمن بالخرافات، والواقع، أن فكرة التأمين كانت فكرتها، لأنها أشفقت على من الهم والقلق على مصيرها بعد موتى..

وهكذا حصل إيفانز على المعلومات التى يريدها.. وعندما ودع ميرودين بعد قليل، كانت عيناه تتألقان ببريق العزم والتصميم.

كان يعلم أن مستر أنطونى قد أمن على حياته لمصلحة زوجته قبل موته ببضعة أسابيع.

* * *

كان إيفانز يعمل دائماً بوحى غريزته.. وكان مقتنعاً فيما بينه وبين نفسه بأن مرجريت ميرودين ستقدم حتماً على ارتكاب جريمة جديدة.. فماذا يفعل؟ تلك هى المسألة التى كانت تشغل ذهنه.

لم يكن ينوى إلقاء القبض عليها فى حالة تلبس.. وإنما كان يريد منع الجريمة قبل وقوعها.. وهو أمر مختلف تماماً وعلى جانب عظيم من الصعوبة.

وقضى إيفانز سحابة اليوم التالى فى التفكير، وكان مقرراً أن تقام سوق الربيع فى القرية عصر ذلك اليوم، فذهب إلى السوق للتسلية

وقتل الوقت.. وأمضى فيها ساعة أو بعض ساعة فى مشاهدة المعروض للبيع من الحيوانات.. ثم رأى إحدى العرافات فأعطاها قطعة من النقود وابتسم حين تذكر كيف كان يطارد هؤلاء المشعوذين ويضيق عليهم الخناق قبل أن يترك الخدمة.

وبسط كفه للعرافة فراحت تقرأ فيها طالعة.. وأصغى إلى ثرثرتها دون أن يعبأ بها أو يقيم لها وزناً.. إلى أن نطقت المرأة بعبارة أثارت فضوله واهتمامه إذ قالت:

- وفى وقت قريب «بل قريب جداً» ستقوم بعمل يتوقف عليه حياة أو موت أحد الناس.

فسألها بحدة:

- أى عمل هذه؟

فقالت المرأة:

- إنه قرار.. قرار يتعين عليك أن تتخذه.. فكن على حذر.. نعم، يجب عليك أن تتوخى الحذر الشديد.

- ماذا سيحدث؟

فمرت فى جسد العرافة رعدة شديدة مما أزعج إيفانز رغم اعتقاده بأن المرأة تهرف بما لا تعرف.

قالت المرأة:

ـ إننى أحذرك.. يجب ألا تخطئ.. لأنك إذا أخطأت كانت النتيجة هى الموت.

فقلب إيفانز شفته وقال:

ـ هل تعنين أننى إذا أخطأت فستكون النتيجة الموت؟

ـ نعم..

فابتسم وأجاب:

ـ إذا كان الأمر كذلك فيجب ألا أخطئ..

قال ذلك ببساطة، وبشىء من السخرية.. ولكنه عندما غادر العرافة، كانت تبدو على وجهه دلائل التفكير العميق.

ـ نعم.. لقد صدقت العرافة.. يجب ألا يخطئ.. لأن حياة ثمينة.. حياة إنسان.. تتوقف على القرار الذى سيتخذه.. ولكن ما أيسر الكلام، وما أشق التنفيذ!!

من السهل أن تقول لإنسان افعل هذا ولا تفعل ذاك، ولكن ليس من السهل على ذلك الإنسان ألا يقع فى خطأ عند التنفيذ.

ثم أنه ليس هناك من يساعده.

ونظر حوله.. ووقع بصره على صديقه هايدوك على مسافة منه.

ولكن لا.. إنه لن يجد مساعدة من هايدوك، الذى جعل شعاره فى

الحياة «دع الخلق للخالق».

كانت مسز ميرودين امرأة جميلة.. ذات عينين سوداوين ساحرتين، وجبين عريض.. ووجه هادئ وديع.

كان يخيل للناظر إليها أنه أمام لوحة للسيدة العذراء، من صنع أحد الفنانين الإيطاليين القدامى.. ومما يزيد من إحساس الناظر بهذا التشابه.. أن مسز ميرودين كانت تفرق شعرها فى الوسط وتضعه خلف أذنيها.

أما صوتها.. فكان هادئاً عميقاً.

ابتسمت لأيفانز بلطف فقال:

ـ لقد عرفتك من بعيد يا مسز أنطونى.. أعنى يا مسز ميرودين.

كانت زلة لسان متعمدة.. اقترنت بنظرة من ركن عينه لملاحظة رد الفعل عند المرأة.

رآها تفتح عينيها، وتلتقط أنفاسها بصوت مسموع، ولكن لم يخفق لها هدب.. ولم يطرأ أى تغيير على نظرتها الثابتة المفعمة بالكبرياء والثقة بالنفس.

قالت فى هدوء:

ـ أننى أبحث عن زوجى.. هل رأيته فى مكان ما هنا؟

ـ إننى رأيته لآخر مرة هناك.

وأشار بأصبعه نحو مكان فى السوق.

وسارا جنباً إلى جنب فى ذلك الاتجاه، وهما يتحدثان فى هدوء ومرح.

وكان الشعور الذى طغى على المفتش فى تلك اللحظات، هو الإعجاب.. والمزيد من الإعجاب.

يالها من امرأة!!

أى ثبات.. وأى سيطرة على النفس.. وأى قوام!! إنها امرأة ممتازة حقاً، وخطيرة جداً فى ذات الوقت.. نعم، كان واثقاً من أنها امرأة خطيرة جداً.

كان لا يزال يشعر بالقلق الشديد رغم الخطوة التى اتخذها.

لقد أفهمهما أنه يعرفها على حقيقتها.. وذلك من شأنه أن يجعلها تتوخى الحذر فلا تقدم على عمل طائش.

وبقى عليه الآن أن يجد وسيلة لتحذير ميرودين نفسه..

وجد الكيميائى الشيخ واقفاً يتأمل دمة من الخزف جاءت من نصيبه فى إحدى اللعبات.. واقترحت عليه زوجته أن يعود إلى البيت فوافق دون تردد.

وتحولت مسز ميرودين إلى المفتش وقالت:

ـ لماذا لا تأتى وتتناول قدحاً من الشاى معنا مستر أيفانز؟

وخيل لأيفانز أن فى صوتها نبرة تحد.. وكان على استعداد لقبول التحدى فأجاب:

- شكراً لا يا مسز ميرودين.. يسعدنى كثيراً أن أتناول الشاى معكما.

* * *

وساروا معاً، وتحدثوا فى أمور عادية، فى جو مفعم بالألفة والمودة.

وكانت الشمس تسطع والنسيم يعبث بأوراق الشجر وكل شىء حولهم يدخل السرور على النفس.

وعندما وصلوا إلى البيت القديم الجميل الذى يقيم فيه ميرودين وزوجته.. قالت الزوجة أن ذلك اليوم هو يوم أجازة الخادمة، ثم ذهبت إلى غرفتها لتخلع قبعتها، وعادت لتعد الشاى على موقد فضى صغير، وتناولت ثلاثة (أوعية) من فوق رف بالقرب من المدفأة وقالت:

- لدينا نوع خاص جداً من الشاى الصينى، تعودنا أن نشربه على الطريقة الصينية.. أى من أوعية.. بدلاً من الأقداح.

ورفعت غطاء أحد الأوعية فجأة، ونظرت بداخله، ثم أعادته إلى مكانه على الرف، وأخذت وعاء آخر بدلاً منه وقالت تحدث زوجها باستياء:

- ماذا فعلت يا جورج؟ هل عدت إلى استعمال هذه الأوعية؟

فقال الكيميائى معتذراً:

- أنا آسف يا عزيزتى.. إن حجمها مناسب جداً للأبحاث التى أقوم بها.. ولم ترد بعد الأقداح الأخرى التى طلبتها.

فقالت الزوجة وهى تضحك:

- إنك ستقتلنا جميعاً بالسم فى أحد الأيام.. إن الخادمة تعثر على الأوانى فى معملك فتأتى بها إلى هنا ولا تكلف نفسها عناء غسلها إلا إذا وجدت بها مادة غريبة واضحة وضوحاً تاماً.

إنك وضعت فى هذه الأوانى منذ أيام كمية من مادة سيانيد البوتاسيوم.. وهى مادة شديدة الخطر كما تعلم يا جورج.

فبدأ الضيق على وجه ميرودين وأجاب:

- ليس من حق الخادمة أن تأخذ شيئاً من المعمل أو تنقل شيئاً فيه.

- ولكننا كثيراً ما تترك الأقداح فى المعمل بعد أن تتناول الشاى هناك فكيف نمنعها من حملها؟ يجب أن تكون منطقياً أيها العزيز.

فانطلق ميرودين إلى معمله وهو يتمتم بكلام غير مفهوم.. أما زوجته، فإنها وضعت الشاى فى الأوعيه وسكبت عليه الماء المغلى وأطفأت الموقد الفضى.

وكان أيفانز قد أصغى إلى حديث مسز ميرودين عن الأوعية والمعمل والسموم بكل الفضول والاهتمام، وتملكته حيرة شديدة.

لماذا حرصت المرأة على ترديد هذا الكلام على مسمع منه؟

هل تعد عدتها (لحادث) جديد؟

هل تمهد من الآن لتبرئة نفسها؟ حتى إذا حدث الحادث ذات يوم اضطر إلى أداء الشهادة لمصلحتها؟

إذا كان ذلك هو ما تهدف إليه، فهى غبية.. لأنه لن.

وكف عن التفكير فجأة.. وركز كل اهتمامه فى مراقبتها.

رآها تضع أحد الأوعية أمامه.. والثانى أمامها.. ثم رآها تحمل الوعاء الثالث وتضعه على مائدة صغيرة بجوار المدفأة، على مقربة من المقعد الذى تعود زوجها الجلوس فيه.

ولاحظ الابتسامة الغريبة التى ارتسمت على شفتيها وهى تضع الوعاء الثالث.

وكأن فى هذه الابتسامة ضياعها.. لأنه فهم.

يا لها من امرأة خطيرة!!

فى نفس اليوم.. بلا انتظار.. أو تمهيد.. وأمامه كشاهد عيان..!

وأذهلته جرأتها.

جرأتها فى التفكير وسرعتها فى العمل.

لقد اعتمدت على أنه لم يلحظ شيئاً.. ولا يستطيع أن يثبت شيئاً.

سعل سعلة خفيفة وانحنى إلى الأمام وقال:

ـ مسز ميرودين.. إننى رجل غريب الأطوار، ولى بعض النزوات.. فهل تتفضلين بالموافقة على إحداها؟

فنظرت إليه متسائلة.. ولكن دون أن يساورها شك.

ونهض أيفانز من مقعده.. وتناول الوعاء الذى وضعته أمامها واستبدله بالوعاء الذى وضعته على المائدة الصغيرة بجوار مقعد زوجها، وقال وهو يقدم لها هذا الوعاء الأخير:

ـ أريد أن أراك تشربين من هذا الوعاء.

فالتقت عيونهما..

ورأى فى عينيها نظرة ثابتة غامضة.. ولاحظ أن وجهها قد امتقع.

ولكنها مدت يدها إلى الوعاء.. وتناولته.

وحبس الرجل أنفاسه..

هب أنه كان على خطأ.

ورفعت المرأة الوعاء إلى شفتيها.. وفى آخر لحظة، مرت بجسدها رعدة، وسكبت ما بالوعاء فى آنية للزهور على مقربة منها.. ثم استرخت فى مقعدها ونظرت إليه فى تحد..

وتنهد الرجل بارتياح، وعاد إلى مقعده.

وقالت المرأة:

ـ حسناً؟

وكان فى صوتها مزيج من التهكم والتحدى.

فقال أيفانز فى هدوء:

ـ إنك ماهرة جداً يا مسز ميرودين.. ولكن هذا لا يجب أن يتكرر.. هل تعرفين ماذا أعنى؟

ـ أعرف ماذا تعنى.

وكان صوتها خلواً من كل انفعال أو تعبير.

فهز رأسه تعبيراً عن ارتياحه.

إنها امرأة ذكية.. ولا يمكن أن ترضى لنفسها أن تتدلى من حبل المشنقة.

قال وهو يتناول وعاءه:

ـ والآن.. سأشرب نخبك ونخب زوجك متمنياً لكما حياة طويلة سعيدة.

ورفع الآنية إلى شفتيه.

ولكن ما كادت رشفة الشاى تصل إلى جوفه، حتى تقلص وجهه تقلصاً مخيفاً.

وحاول أن ينهض.. وحاول أن يصرخ.. ولكن جسده تصلب، واحتقن الدم فى وجهه.. وسقط فى مقعده جثة هامدة.

وانحنت مسز ميرودين فوقه.. ونظرت إليه فى هدوء، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة، وقالت تحدثه فى رفق ودعه:

- إنك أخطأت يا مستر إيفانز حين ظننت أننى أريد أن أقتل جورج. كان ذلك غباء منك.. وأى غباء!!

وجلست على مقعدها وظلت لحظة تنظر إلى الرجل الميت.. ثالث رجل هدد سعادتها وحاول أن يفرق بينها وبين الرجل الذى تحبه.

واتسعت الابتسامة على شفتيها.. وصاحت تنادى زوجها:

- جورج.. جورج.. تعال وأسرع.. أظن أنه قد وقع حادث مخيف لمستر أيفانز المسكين.



الخير والشر

دخل القس بارفيت عربة القطار
وهو يلهث وتكاد أنفاسه أن تنقطع..

لم يكن لرجل فى مثل سنه أن يركض مئات الأمتار للحاق بالقطار قبل أن يتحرك، خاصة بعد أن ترهل جسمه وثقل وزنه ولم يعد قوامه رشيقاً كما كان فى وقت ما.

إنه أصبح يميل نحو البدانة، ويلهث بعد كل مجهود ويقول كلما سئل عن ذلك: إنه قلبى.. لقد أدركته الشيخوخة.

وألقى القس بنفسه على مقعد فى ركن إحدى مركبات الدرجة الأولى وتنهد بارتياح.

كان جو المركبة دافئاً، على عكس الجو فى الخارج حيث كان البرد يتساقط بلا هوادة، والجليد يغطى الطرقات.

لقد كان من حسن حظه حقاً أنه وجد ركناً دافئاً، يقبع فيه خلال رحلته الليلية الطويلة، وقاده ذلك إلى التساؤل لماذا لا يلحقون بهذا القطار عربة النوم.

كان المقعد الذى جلس فيه يتسع لشخصين، وكذلك كان المقعد المقابل له.

وكانت الأماكن الثلاثة الأخرى قد شغلت فعلاً، ولاحظ القس أن المسافر الذى يجلس أمامه يبتسم له كما لو كان يعرفه.

كان ذلك المسافر رجلاً حليق الوجه قد خط الشيب سوالفه، وما أن تفرس فيه القس حتى تذكره، وعرف فيه السير جورج دورانت المحامى المشهور.

قال المحامى وهو يبتسم:

- يبدو أنك ركضت طويلاً لكى تلحق بالقطار يا بارفيت.

فقال القس:

- نعم، وإنى أخشى أن يضار قلبى من المجهود الذى بذلته.. إنها لمصادفة سعيدة أن ألقاك هنا يا سير جورج.. هل أنت ذاهب شمالاً؟

فأجاب سير جورج:

- الواقع أننى سأذهب إلى (نيو كاسل) وبهذه المناسبة، هل تعرف الدكتور كامبل كلارك؟

وأشار إلى الدكتور الذى يجلس على نفس المقعد مع القس.. فالتفت الرجل إلى القس.. وابتسم له، وحياه بإحناء رأسه.

واستطرد المحامى قائلاً:

- إننا التقينا على رصيف المحطة، وتلك مصادفة ثانية.

ونظر القس إلى الدكتور كامبل كلارك باهتمام وفضول، كان قد سمع عنه كثيراً، فهو طبيب كبير، ويعد فى الطليعة بين الأخصائيين فى الأمراض النفسية والعقلية، وقد أثار كتابه الأخير «شكلة العقل الباطنى» ضجة كبيرة فى الدوائر العملية والطبية.

وتفرس القس فى وجه الطبيب، ونظر إلى عينيه الزرقاوين وفكيه البارزين، وشعره الأشيب الذى أدركه النحول، وأحس على الفور بأنه ينظر إلى رجل ذى شخصية قوية.

ونظر القس ضمناً إلى المسافر الرابع الذى يجلس فى المقعد المقابل بجوار سير جورج، وتوقع أن يتعرف عليه أيضاً، ولكنه تبين أنه غريب عنه تماماً، وأن ملامحه وقسمات وجهه تكاد توحى بأنه أجنبى.

كان رجلاً نحيفاً، أسمر البشرة.. قد التف بمعطفه واستغرق فى النوم.

وقال الدكتور كامبل كلارك بصوت لطيف ترتاح الأذن إلى سماعه:

- القس بارفيت.. واعظ كنيسة «برادشستر»؟ وأحس القس بالخيلاء.

حقاً، لقد أصابت مواعظه (العملية) نجاحاً كبيراً، وجعلت منه رجلاً مشهوراً، خاصة بعد أن تناقلتها الصحف، وتحدثت عنها..

ووصفته بأنه الواعظ العصرى الذى تحتاج الكنيسة إلى الكثيرين من أمثاله.

قال القس:

- إننى قرأت كتابك الأخير باهتمام شديد يا دكتور كلارك، ولكنى لا أكتمك أن به كثيراً من الاصطلاحات الفنية التى لم أستطع فهمها.

وهنا قال سير جورج:

- ماذا ستفعلان خلال الرحلة؟ هل ستقضيان الوقت فى الحديث أو فى النوم.. ؟ أنا شخصياً أعانى من الأرق وأفضل الحديث.

فقال القس:

- طبعاً.. طبعاً، إننى قلما أنام فى مثل هذه الرحلات. وقد أحضرت معى كتاباً، ولكنه غير مشوق ولا يغرى بالقراءة.

فابتسم الدكتور كلارك وقال:

- على أى حال، نحن هنا نمثل ثلاثة قطاعات هامة فى المجتمع، الكنيسة والقانون والطب.

فضحك سير جورج وقال:

- أى أنه لا توجد مشكلة لا نستطيع فيما بيننا أن نبدى فيها رأياً صائباً.. الكنيسة من الناحية الروحية وأنا من الناحية الاجتماعية

والقانونية، والدكتور كلارك من الناحية الطبية والنفسية.

أعتقد أن فى مقدورنا إذا تبادلنا وجهات النظر أن نحسم عديداً من المشكلات.

فقال الدكتور كلارك:

- أرى أنك قد أغفلت إحدى وجهات النظر رغم أهميتها.

- أية وجهة نظر تعنى؟

- وجهة نظر رجل الشارع.

- وهل لها أهمية..؟ إن وجهة نظر رجل الشارع يثبت خطؤها دائماً.

- هذا صحيح. ولكنها تتميز بالشىء الذى تفتقر إليه وجهات نظر الخبراء.. وأعنى.. الطابع الشخصى.. أن الإنسان لا يستطيع أبداً أن يتخلص من علاقاته الشخصية، هذه حقيقة اكتشفتها من خلال عملى.. لقد وجدت أن كل شخص يأتى إلى وهو مريض حقاً، يقابله خمسة أشخاص على الأقل ليس بهم من شىء إلا عجزهم عن معايشة الآخرين والحياة فى وئام وسعادة مع الذين يقيمون معهم فى نفس البيت، أنهم يتوهمون الإصابة بمختلف أنواع الأمراض، من توتر الأعصاب إلى الشد العضلى.. بينما الحقيقة أنهم لا يعانون إلا من احتكاك بين أرادتين، ومعركة بين عقلين، فقال القس:

- أعتقد أن لديك الكثيرين من مرضى الأعصاب يا دكتور؟ كان هو شخصياً يفاخر بقوة أعصابه..

فتحول إليه الطبيب بسرعة البرق وقال:

- ماذا تعنى يا سيدى القس؟ إن الناس يتكلمون عن (الأعصاب) باستخفاف ويضحكون.. يقول أحدهم: ما خطب فلان؟ فيجيبه آخر: ليس به من شيء.. إنها أعصابه فحسب.

ألا تعرف يا سيدى القس أن الأعصاب هى أهم شيء فى جسم الإنسان، وأنها مصدر أكثر الأدواء التى يعانى منها البشر؟

ولكننا للأسف لا نعرف اليوم عن أسباب المئات من الأمراض العصبية أكثر مما كان يعرفه أسلافنا على عهد الملكة فيكتوريا.

فقال القس وقد أدهشته حدة الطبيب:

- أحقاً؟

- لقد كنا فيما مضى نقول فى تعريف الإنسان أنه حيوان عاقل.. له جسم وعقل.. وكنا نضفى كل الأهمية على الجسم.

فقال القس مصححاً:

- جسم وعقل وروح.

فمرت على شفتى الطبيب ابتسامة غريبة وقال:

ـ الروح؟ مـاذا تعنون بـالروح يا رجـال الدين؟ لقـد اقتصـرتم طوال الأجيال على تعريف الروح تعريفاً غامضاً يفتقر إلى الوضوح.

فتأهب القس استعداداً لإلقاء محاضرة عن الروح، ولكن الدكتور لم يتح له الفرصة واستطرد يقول:

ـ ثم هل نحن على يقين من أن للإنسان روحاً لا أرواحاً؟

فقطب سير جورج ما بين حاجبيه وقال متسائلاً:

ـ أرواح؟

فنظر إليه الدكتور كلارك وقال:

ـ نعم.

ثم انحنى نحوه، وقال وهو يدق صدره بيده:

ـ هل أنت واثق من أنه لا يوجد فى هذا الهيكل سوى ساكن واحد؟ ساكن يقيم فيه عشرين أو أربعين أو سبعين أو قل ما شئت من أعوام ثم يبدأ فى نقل حوائجه شيئاً فشيئاً إلى أن يترك المسكن خراباً تقوضه يد الفناء؟

أنت السيد فى هذا المسكن، ذلك أمر لا شك فيه.

ولكن ألا تشعر بأن معك فى هذا المسكن سكاناً آخرين لا تراهم، ولكنك تحس بأعمالهم حين تنسحب نتائجها عليك؟

فنظر إليه المحامى مبهوتاً وقال:

- يا عـزيزى كـلارك، هـل تريد أن تقـول أن عـقلى مـيـدان لمعـركـة يستعر أوارها بين شخصيات مختلفة؟

فهز الطبيب كتفيه وأجاب:

- ولم لا؟

فقال القس:

- الحق أن هذه نظرية طريفة.

وقال لنفسه:

- لابد أن أجعل هذه النظرية موضوع موعظتى القادمة.

واعتدل الدكتور كامبل كلارك فى جلسته وقال:

- الواقع أن رحلتى الليلة إلى «نيـو كـاسل»، هـى رحلة خـاصـة بحـالة من حالات إزدواج الشخصية.

فقال السير جورج:

- أعتقد أن إزدواج الشخصية لم يعد من الحالات النادرة.. لقد شهدت فى إحدى المحاكم مؤخراً قضية كان المتهم فيها من أصحاب الشخصيات المزدوجة.

فقال الدكتور كلارك:

ـ لا شك أن أشهر قضية فى هذا الصدد هى قضية فيليسبا بولت.. هل سمعت عنها؟

فقال القس:

ـ أذكر أنى قرأت عنها فى الصحف منذسنوات عديدة.. منذ سبع سنوات على الأقل.

فقال الدكتور كلارك:

ـ لقد صارت هذه الفتاة من أشهر الشخصيات فى فرنسا، وتوافد العلماء من كل أنحاء العالم لرؤيتها.

كانت لها أربع شخصيات مختلفة، عرفت باسم فيليسيا رقم ١ وفيليسيا رقم ٢ وفيليسيا رقم ٣ وفيليسيا رقم ٤.

فقال سير جورج:

ـ ألم تكن فى الأمر خدعة ما؟

فأجاب الطبيب:

ـ كان هناك بعض الشك حول فيليسيا رقم ٣ وفيليسيا رقم ٤، ولكن ذلك لا يغير من الحقائق شيئاً.

كانت فيليسيا بولت فلاحة من مقاطعة بريتانى بفرنسا.

كانت الثالثة بين خمس شقيقات من أب سكير، وأم متخلفة عقلياً.

وذات ليلة أسـرف الأب فى الشـراب، وخنق الأم، وحكم عليـه بالأشغال الشاقة المؤبدة على ما أذكر.

وكانت فيليسيا وقتئذٍ فى الخامسة من عمرها، فاهتم أهل الخير بالفتيات، وأرسلت فيليسيا إلى ملجأ للأيتام أنشأته سيدة إنجليزية تدعى مس سلاتر.

وحاولت مس سلاتر تعليم الفتاة، ولكن جهودها ذهبت سدى، فقد كانت فيليسيا بطيئة الفهم، ومتخلفة عقلياً، ولم تتعلم مبادئ القراءة والكتابة إلا بصعوبة.

وأخيراً فكرت مس سلاتر فى تأهيل الفتاة للخدمة فى المنازل، ووجدت لها عملاً لدى بعض الأسر، ولكنها لم تمكث فى أى بيت أكثر من أسبوع، بسبب غبائها الشديد وخمولها.

وصمت الطبيب لحظة، وأشعل لفافة تبغ.

وانتهز القس فرصة الصمت ليريح ساقيه ويلتف جيداً بمعطفه، ثم حانت منه التفاتة إلى الرجل الرابع الذى كان نائماً، فرآه قد استيقظ ورأى فى عينيه نظرة ساحرة عجيبة.

ومضى الدكتور كلارك فى قصته وقال:

ـ توجد صورة التقطت لفيليسيا بولت وهى فى السابعة عشرة من عمرها، فتاة ريفية مترهلة الجسم، ينم مظهرها عن البلادة والغباء،

وليس ثمة ما يدل على أنها ستصبح ذات يوم أشهر فتاة فى كل فرنسا.

وبعد خمسة أعوام، أصيبت فيليسيا بولت وهى فى الثانية والعشرين من عمرها بمرض عصبى، ما أن شفيت منه حتى بدأت بعض الظواهر الغريبة تتضح بالتدريج، والحقائق التى سأذكرها الآن، قد شهد على صحتها وصدقها جماعة من أبرز العلماء.

كانت الشخصية التى أطلق عليها اسم فيليسيا رقم ١ لا تختلف عن فيليسيا بولت التى عرفها الناس خلال الاثنتين والعشرين عاماً السابقة فهى تكتب الفرنسية بخط ردئ وتتكلم ببطء. ولا تعرف أية لغة أجنبية ولا تعزف على البيانو.

أما فيليسيا رقم ٢ فإنها كانت على عكس ذلك، تتكلم الفرنسية والإيطالية بطلاقة.. والألمانية بدرجة متوسطة، وتكتب بسرعة ووضوح بخط يختلف تماماً عن خط فيليسيا رقم ١.

وأكثر من ذلك أنها كانت تتحدث فى السياسة والفنون كأى إنسان مثقف، وتحب الموسيقى وتعزف على البيانو ببراعة تامة.

وأما فيليسيا رقم ٣ فكانت تشبه فيليسيا رقم ٢ من نواح كثيرة، فهى ذكية سريعة الخاطر، ذات ثقافة عالية ولكنها تختلف عنها أخلاقياً.

والواقع أن فيليسيا رقم ٣ كانت منحرفة إلى حد الفجور، ومنحلة

أخلاقياً على الطريقه الباريسية لا على الطريقة الريفية، فهى تعرف اللهجات التى يتكلمها أهل الطبقات الدنيا فى باريس، وتنطق بعبارات بذيئة تحمر لها الوجوه، تسخر من الأديان وتهزأ بالشخصيات المرموقة.. وتتحدث عنها بأحط الألفاظ.

أما فيليسيا رقم ٤ فكانت مخلوقة حالمة متدينة، نصف بلهاء، وكان غموض شخصيتها يوحى بأن فى الأمر خدعة من تدبير فيليسيا رقم ٣ إمعاناً فى التضليل، وأستطيع أن أقول أنه باستثناء فيليسيا رقم ٤، فإن كل شخصية من الشخصيات الثلاث الأخرى، كانت منفصلة ومستقلة بنفسها تماماً، ولا تعرف شيئاً عن الشخصيتين الأخريين.

وكانت فيليسيا رقم ٢ هى الشخصية الأقوى والأوضح، وكان وجودها يستمر أحياناً أسبوعين متواصلين قبل أن تختفى لتحل محلها فيليسيا رقم ١ التى لا يستمر وجودها عادة أكثر من يوم أو يومين.

ثم تظهر بعد ذلك فيليسيا رقم ٣ أو رقم ٤ فتبقى بضع ساعات وتختفى.

وكانت عملية التغيير أو التحول من شخصية إلى أخرى تقترن بصداع شديد، ونوم عميق، ثم تظهر الشخصية الجديدة فتستأنف حياتها من حيث تركتها دون أن تذكر أى شىء عن الفترة التى غابت فيها، ودون أن تشعر بمرور الوقت.

وصمت الطبيب فهتف القس:

- ما أعجب هذا! ما أعجب هذا! يبدو أننا مازلنا لا نعرف شيئاً عن غرائب هذه الدنيا.

فقال المحامى بلهجة لها مغزاها:

- إننا نعرف على الأقل أن فى الدنيا عديداً من المحتالين الأذكياء.

فقال الدكتور كلارك:

- لقد أهتم ببحث حالة فيليسيا بولت عدد من كبار المحامين ورجال القانون فضلاً عن العلماء والأطباء.. ومن هؤلاء المحامين الأستاذ كمبلييه المشهور.. وجاءت نتيجة البحث والتحرى مؤيدة لوجهة نظر العلماء.

ثم لماذا تدهشنا حالة فيليسيا بولت؟ ألسنا نجد صفارين فى بيضة واحدة، وثمرتى موز فى غلاف واحد؟ فماذا يمنع من تواجد نفسين فى جسد واحد، أو تواجد أربع أنفس، كما حدث فى حالة فيليسيا بولت؟

فقال القس مستنكرا:

- تعنى إزدواج النفس؟

فنظر إليه الطبيب بعينيه الزرقاوين الثاقبتين وقال:

- هل هناك تعريف آخر لمثل هذه الحالة؟

فقال سير جورج:

ـ من حسن الحظ أن هذه حالات نادرة وتعد من خوارق الطبيعة.. ولو قد تعددت هذه الحالات وأصبحت شيئاً عادياً لأثارت كثيراً من المتاعب فى شتى المجالات.

فقال الدكتور كلارك:

ـ الواقع، أن حالة فيليسيا بولت كانت حالة نادرة، ومما يؤسف له أن العلماء لم يتوفروا على دراساتها دراسة مستفيضة بسبب موت الفتاة فجأة، وعلى غير انتظار.

فقال المحامى ببطء:

ـ كان موتها فى ظروف غريبة على ما أذكر.

فأومأ الطبيب برأسه علامة الإيجاب وقال:

ـ نعم، أنها وجدت ميتة فى فراشها ذات صباح، وكان من الواضح أنها ماتت مخنوقة، وقد كانت دهشة الجميع لا حد لها عندما ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها خنقت نفسها بيديها، فالعلامات التى وجدت على عنقها، كانت علامات أصابعها، والانتحار بهذه الطريقة، وإن يكن ممكناً عملياً، إلا أنه يتطلب قوة عضلية هائلة، وقوة إرادة خارقة تفوق طاقة البشر.

أما ماذا دفع الفتاة إلى الانتحار فذلك ما لا يعرفه أحد.

من المحقق أنها كانت مريضة عقلياً، ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً.

أنها ماتت منتحرة بتلك الطريقة الغريبة، وبموتها أسدل الستار نهائياً عن سر فيليسيا بولت قبل أن يتمكن العلماء والباحثون من إماطة اللثام عنه.

وما أن فرغ الدكتور كلارك من سرد القصة، حتى سمع الرجال الثلاثة ضحكة قطعت جبل الصمت الذى ران عليهم، فنظروا حولهم، فإذا الضاحك هو الرجل الرابع الذى يقبع فى ركن المقعد.

* * *

كانوا قد أغفلوه تماماً، وتناسوا أنه يجلس معهم، فلما تحولت إليه أنظارهم، ضحك مرة أخرى وقال بلغة إنجليزية سليمة تشوبها لكنة أجنبية أرجو المعذرة أيها السادة.

واعتدل فى جلسته، ورفع رأسه، فرأوا وجهه الشاحب وشاربه الأسود الرفيع.

قال وهو يحنى قامته بشىء من السخرية:

ـ معذرة أيها السادة.. ولكن هل تعتقدون أن العلم يقف عند حد؟ وأنه قال كلمته الأخيرة فى أى مجال؟

فسأله الدكتور كلارك فى أدب:

- هل تعرف شيئاً عن الحالة التى كنا نتحدث عنها؟

- عن الحالة ، كلا .. ولكنى كنت أعرف الفتاة نفسها.

- فيليسيا بولت؟

- نعم، فيليسيا بولت: وانطوانيت رافيل أيضاً، ألم تسمعوا عن أنطوانيت رافيل؟ إن قصة كل منهما تكمل قصة الأخرى، وصدقونى إذا قلت لكم أنكم لا تعرفون شيئاً عن فيليسيا بولت، ما دمتم لا تعرفون قصة أنطوانيت رافيل.

ثم نظر إلى ساعته وقال:

- لا يزال هناك نصف ساعة قبل الوصول إلى المحطة التالية، وذلك يكفى لسرد القصة إذا شئتم أن تسمعوها.

فقال الدكتور فى هدوء:

- أرجو أن ترويها لنا.

وقال القس:

- سيسرنا كثيراً أن نسمعها.

واعتدل سير جورج دورانت فى مقعده وأرهف أذنيه.

قال الرجل:

- أنا أدعى راوول لوتاردو، وقد سمعتكم تتحدثون عن مس سلاتر،

تلك السيدة الإنجليزية الكريمة التى نذرت نفسها ومالها لعمل الخير وأنشأت ملجأ لإيواء الصغار.. إننى ولدت فى (بريتانى) فى نفس القرية التى أنشىء فيها الملجأ، ولما قتل أبواى فى حادث قطار، خفت مس سلاتر للأخذ بيدى وإنقاذى من التشرد والضياع.

وكان بالملجأ نحو عشرين نزيلاً.. من الصبيان والبنات ومن بينهم فيليسيا بولت وأنطوانيت رافيل.

وأكبر الظن أيها السادة، أنكم لن تفهموا شيئاً عن الفتاتين ما لم أصف لكم أنطوانيت رافيل وصفاً دقيقاً يوضح شخصيتها.

كانت أمها من بنات الهوى، ماتت بالسل الرئوى بعد أن هجرها عشيقها.

وقد عملت الأم فى وقت ما راقصة، فنشأت أنطوانيت بدورها تحب الرقص.

وعندما رأيت أنطوانيت لأول مرة، كانت فتاة طويلة لها عينان ساحرتان، فيهما سخرية وفيهما وعد، فتاة صغيرة كلها نار وحياة، وقد استبعدتنى من لقاء.. فكانت مطالبها أمراً.. (افعل ذلك من أجلى يا روول) فأطيع وأفعل.

كنت أعبدها عبادة، وكانت هى تعلم ذلك.

كنا نذهب إلى الشاطئ، ومعنا فيليسيا، وهناك تخلع أنطوانيت حذاءها

وترقص على الرمال، حتى إذا تعبت من الرقص وانقطعت أنفاسها، جلست على الرمل وراحت تحدثنا عما تريد أن تفعله فى المستقبل.

كانت تقول:

- سأكون راقصة مشهورة، وسيكون لدى مئات بل ألوف من الجوارب الحريرية.. وسأقيم فى شقة جميلة، وسيكون عشاقى جميعاً من الشباب الذين يتسمون بالأناقة والوسامة.. والثراء.. وعندما أرقص، سوف تأتى باريس كلها لترانى.. وسيهتف النظارة باسمى.. ويصفقون لى ويستعيدوننى.

ولكنى لن أرقص فى الشتاء، وإنما أذهب إلى إحدى مدن الجنوب، حيث الشمس والدفء والفيلات الجميلة وأشجار البرتقال، فأقيم فى إحدى الفيلات وأتمدد على وسائد من حرير تحت أشعة الشمس وألتهم البرتقال، أما أنت يا راوول فإننى لن أنساك أبداً مهما بلغت من الثراء والشهرة.. سوف أرعاك وأساعدك على دعم مستقبلك، وأما فيليسيا، فإنها ستكون وصيفتى.. ولكن لا.. إن لها يدين غليظتين خشنتين.. انظر إليهما.

وتثور ثائرة فيليسيا، وتمضى أنطوانيت فى معاكستها، فتقول:

- إن فيليسيا سيدة أنيقة مرهفة الحس والذوق، إنها أميرة متنكرة ها.. ها.. ها.

فتعبس فيليسيا وتقول فى غيظ:

ـ كان أبى متزوجاً من أمى.. وهذا ما لا تستطيعين أنت أن تقوليه.

ـ نعم، وأبوك قتل أمك.. جميل حقاً أن تكون الفتاة ابنة قاتل!

ـ وأنت.. إن أباك قد هجر أمك وتركها تموت جوعاً.

ـ آه.. هذا صحيح.. مسكينة أمى! يجب أن يحافظ الإنسان على صحته وقوته.. لأن بدونهما لا يساوى شيئاً.

فتقول فيليسيا فى خيلاء:

ـ إنى قوية كالحصان.

وكانت قوية حقاً.. كانت لها قوة اثنتين على الأقل من بنات الملجأ.. ولم تمرض قط.

ولكنها كانت غبية، بل وأشد غباء من البغل، ولطالما تساءلت لماذا كانت دائماً تلازم أنطوانيت وتسير فى ركابها؟ والجواب فيما أعتقد هو أنها كانت مفتونة بها.

ولكن كان يخيل إلى أحياناً أنها تمقت أنطوانيت وتحقد عليها، ذلك أن أنطوانيت كانت تسخر منها وتقسو عليها، وتصفها بالبلادة والغباء على مسمع من الآخرين.. وكان الغضب يستبد بفيليسيا فيمتقع لونها وترتجف شفتاها، وكان يخيل إلى أحياناً أنها ستنقض عليها، وتنشب أظافرها فى عنقها وتزهق روحها.

لم يكن لها من الذكاء وسرعة البديهة ما يسعفها فى الرد على أنطوانيت، ومقابلة مضايقاتها بمثلها.. ولكنها عرفت مع الوقت رداً لا يخطىء الهدف أبداً، هو المبالاة بصحتها وقوتها.

كانت تعلم أن أنطوانيت تغار منها وتغبطها لقوة بنيتها، فعرفت بالغريزة كيف تضرب غريمتها فى موطن ضعفها.

وذات يوم جاءتنى أنطوانيت وهى فرحة مسرورة وقالت لى:

- راوول.. أننا سنضحك اليوم كثيراً من فيليسيا.. الغبية.

- كيف؟

- تعال وراء الحظيرة وسأخبرك.

كانت قد ظفرت بكتاب يتناول موضوعات معقدة تدق على فهمها، ومنها موضوع التنويم المغناطيسى.. ويبدو أنها قامت بتجربة عشوائية على ضوء ما قرأته.

قالت:

- يقول الكتاب «شىء لامع» وقد وجدت هذا الشىء اللامع.. كان كرة من النحاس، فى أحد أعمدة فراشى.. فانتزعتها. وربطتها بخيط، وقلت لفيليسيا ليلة أمس: «أنظرى إلى هذه الكرة، وحدقى النظر فيها، ولا تحولى عينيك عنها» وأخذت أحرك الكرة أمامها، حركة دائرية منتظمة، وذعرت حين رأيت عينى فيليسيا وهما تتابعان الكرة.. كانت

فيهما نظرة غريبة.. غريبة جداً.. وقلت لفيليسيا: «افعلى كما أقول يا فيليسيا» فأجابت: «سأفعل كما تقولين يا أنطوانيت» وعندئذٍ قلت لها: عليك أن تأتى بشمعة وتذهبى بها غداً إلى فناء الملجأ ومتى دقت الساعة الثانية عشرة تماماً، فيجب أن تشرعى فى التهام الشمعة، وإذا سألك سائل فقولى إنها ألذ حلوى أكلتها». فتصور يا راوول كيف سنضحك اليوم حين نراها تلتهم الشمعة، فدهشت وقلت لها: لكنها لن تفعل ذلك.

فأجابت: ولكن الكتاب يقول ذلك.. فإذا كان الكتاب صادقاً فسوف نقضى وقتاً ممتعاً.

وخيل إلى أيضاً أن الفكرة مضحكة حقاً. فهمسنا بها إلى فتيان الملجأ وفتياته، واحتشد الجميع فى الفناء وفى الساعة الثانية عشرة تماماً، أقبلت فيليسيا وفى يدها شمعة.. ولشد ما دهشنا وضحكنا حين رأيناها تأكل الشمعة وتستمتع بمضغها.

ضحكنا حتى أغرورقت عيوننا بالدموع، ولكن فيليسيا لم تضحك، وكلما سألها سائل:

- أتجدين متعة فيما تأكلين يا فيليسيا؟

أجابت:

- إنها ألذ حلوى أكلتها طول حياتى.

ويبدو أن ضحكنا وصياحنا أيقظ الفتاة المسكينة فخفقت أهدابها بسرعة، كمن يخرج من الظلام إلى النور، ونظرت إلينا ثم إلى الشمعة وقالت فى ذهول:

- ماذا أفعل هنا؟

فقلنا لها:

- إنك تأكلين الشمعة.

وصاحت أنطوانيت وهى تضحك ساخرة:

- جعلتك تأكلينها..

فوقفت فيليسيا مذهولة لحظة، ثم اقتربت من أنطوانيت ببطء، وقالت وهى تحدق فى وجهها:

- أنت فعلت بى هذا؟

أنت جعلتهم يسخرون منى؟ هذه المزحة ستكلفك حياتك يا أنطوانيت، لأننى سأقتلك.

وعلى الرغم من أنها كانت تتكلم بهدوء شديد، فقد دب الذعر فى قلب أنطوانيت، وفرت من أمامها وتوارت خلفى وهى تصيح:

- أنقذنى يا راوول.. إننى خائفة منها.. لقد كانت مزحة بريئة يا فيليسيا.. أؤكد لك أنها كانت مزحة بريئة.

فقالت فيليسيا:

- أنا لا أحب هذا النوع من المزاح.. هل فهمت؟ إننى أكرهك يا أنطوانيت.. أكرهك.

وانفجرت الدموع من عينيها فجأة.. وانطلقت بعيد وهى تبكى.

وأعتقد أن هذه التجربة أخافت أنطوانيت وأوقعت الذعر فى قلبها، لأنها لم تقدم عليها مرة أخرى، ولكن سيطرتها على فيليسيا تصاعدت بعد ذلك وازدادت قوة.

وأنا واثق الآن من أن فيليسيا كانت دائماً تكرهها، ولكنها مع ذلك لم تكن تطيق الابتعاد عنها، وظلت تتبعها كالكلب الأمين.

وحدث بعد ذلك أيها السادة أن أوجدت لى مس سلاتر عملاً، فانقطعت صلتى بالملجأ.. وأصبحت لا أذهب إليه إلا فى بعض أيام العطلة.

ولم تتحقق رغبة أنطوانيت فى أن تصبح راقصة.. ولكن صوتها تطور مع تقدمها فى السن، وأصبح يتميز بالقوة والعذوبة.. فوافقت مس سلاتر على أن تتلقى الفتاة دروسا فى الغناء.

ولم تكن أنطوانيت تعرف الكسل والخمول، فأقبلت على العمل بحماسة ونشاط، ولم تمنح نفسها فرصة للراحة، واضطرت مس سلاتر فى كثير من الأحيان أن تمنعها من الاسترسال فى نشاطها،

وقالت لى ذات يوم:

- إننى مشفقة على هذه الفتاة، وأنا أعرف شغفك بها، فحاول أن تقنعها بعدم إجهاد نفسها.. إنها تسعل سعلة جافة تثير قلقى.

واقتضت ظروف عملى أن أرحل عن فرنسا، وتلقيت بعد رحيلى رسالة أو رسالتين من أنطوانيت، ثم انقطعت أخبارها عنى تماماً.

وقضيت خارج فرنسا نحو خمسة أعوام، ثم عدت إلى باريس.

وذات يوم وقع نظرى مصادفة على أحد الملصقات، وكان يتضمن إعلاناً عن المطربة أنطوانيت رافيل، وصورة لها، عرفتها على الفور.

وفى تلك الليلة، ذهبت إلى المسرح الذى تعمل فيه، وسمعتها تغنى بالفرنسية والإيطالية.

كانت رائعة على خشبة المسرح.

ثم ذهبت إليها فى غرفتها فى المسرح، فاستقبلتنى فى الحال، ورحبت بى وصاحت وهى تبسط يديها إلى:

- أهذا أنت يا راوول؟ أين كنت طوال هذه السنين؟ فهممت بأن أحدثها عن نفسى، ولكنها لم تكن على استعداد لأن تسمع.. كانت تريد أن تتكلم.. عن نفسها..

قالت:

ـ انظر يا راوول.. ألا ترى انني كـدت أن أصل، وأن كل أحـلامى توشك أن تتحقق..

وارتسمت على شفتيها ابتسامة الفوز، وهى تشير إلى باقات الزهور التى تملأ جوانب الغرفة.

قلت لها: ـ يحق الآن لمس سلاتر الطيبة القلب أن تعتز بنجاحك وتفخر؟

ـ آه.. تعنى تلك العجوز؟ لقد أرادت أن تلحقنى بمعهد الموسيقى (الكونسرفاتوار) لكى أتعلم الغناء الكلاسيكى، ولكنى فنانة، ومكانى هنا على مسرح المنوعات حيث أستطيع التعبير عن نفسى.

ودخل الغرفة فى تلك اللحظة رجل وسيم فى الحلقة الرابعة من عمره يدل مظهره على أنه شخصية هامة، وقد فهمت من سلوكه على الفور أنه صديق أنطوانيت أو عشيقها.

ولاحظ أنطوانيت أنه ينظر إلى من ركن عينه، فقالت:

ـ هذا صديقى منذ عهد الطفولة، وقد مر بباريس ورأى صورتى على الملصقات فجاء لتحيتى.

واتسم سلوك الرجل بعد ذلك باللطف والأدب، وأخرج من جيبه أمامى سواراً ثميناً مرصعاً باللؤلؤ ووضعه فى يد أنطوانيت.

وعندما هممت بالانصراف، نظرت إلى أنطوانيت نظرة فوز وهمست:

ـ إننى وصلت.. أليس كذلك؟ إن الدنيا كلها فى متناول يدى.

ولكنى حينما غادرت الغرفة سمعتها تسعل سعلة حادة جافة.

كنت أعرف معنى هذه السعلة وما تنطوى عليه.. إنها الأرث الذى آل إليها من أمها التى ماتت بالسل الرئوى.

ورأيت أنطوانيت مرة أخرى بعد عامين.

كانت قد عادت إلى ملجأ مس سلاتر بعد أن أفل نجمها وفقدت عملها، واستشرى مرضها، ووصل إلى المرحلة التى لا يستطيع الأطباء حيالها شيئاً.

إن صورتها كما رأيتها فى ذلك الوقت قد انطبعت فى ذهنى ولن أنساها ما حييت.

كانت قد عزلت فى كوخ صغير بالحديقة تقضى فيه الليل والنهار، وقد خداها غائرين ملتهبين، وعيناها تتألقان كعينى المحموم.

ولما وقع بصرها على، حيتنى بابتسامة حزينة وقالت بصوت ينم عن اليأس:

ـ كان كرماً منك أن تأتى لزيارتى يا راوول.. هل تعلم ماذا يقولون؟ يقولون إنى لن أبرأ من مرضى.. أنهم يلاطفوننى ويواسوننى.. ويقولون ذلك من وراء ظهرى.

ولكنهم كاذبون يا راوول.. إنهم يكذبون..

إذ كيف أموت والحياة أمامى جميلة وفسيحة؟ إن المهم هو إرادة

الحياة.. جميع الأطباء يقولون ذلك وأنا أريد أن أعيش، ولست من أولئك الضعفاء الذين يرضخون ويستسلمون بل على العكس.. إننى أشعر هذه الأيام بأننى أوفر صحة وقوة.. وبأننى أسير نحو الشفاء بخطى حثيثة.

وتوكيداً لكلامها، رفعت رأسها وحاولت أن تنهض معتمدة على مرفقيها.. ولكنها ما لبثت أن استلقت على الفراش وتملكتها نوبة سعال زلزلزت جسدها النحيل.

وبعد قليل قالت وهى تلهث:

- هذه السعلة لا تهمنى، ونزيف الرئة لا يخيفنى، سوف أعيش وأدهش الأطباء.. المهم هو إرادة الحياة يا راوول.. وأنا قوية الإرادة.. ولذلك سأعيش.

كان حديثها ومنظرها يثيران الشفقة والرثاء.

ودخلت فيليسيا بولت فى تلك اللحظة وبين يديها صحفة عليها قدح ملىء باللبن الدافئ.. فقدمت القدح إلى أنطوانيت، وراحت ترقبها وهى تحتسى اللبن، وفى عينيها نظرة غريبة لم أستطع فهمها.

ورأت أنطوانيت تلك النظرة، وألقت بالقدح على الأرض فى غضب فتحطم.

وصاحت:

- أرأيت أنها تنظر إلى دائماً هكذا..

إنها سعيدة لأننى سأموت.. ولأنها صحيحة الجسم وقوية كالثور.

انظر إليها.. إنها لم تمرض يوماً واحداً.

ولكن ماذا أفادت من سلامة بنيتها وقدة جسدها؟

لا شيء..

إنها مجرد جيفة ضخمة متحركة.

وانحنت فيليسيا والتقطت بقايا القدح المحطم، وقالت فى هدوء:

- لا يهمنى شيء مما تقولين.. إننى فتاة محترمة، أما أنت فإنك ستعذبين فى نار جهنم وتصطلين فى الجحيم عما قريب.

فصاحت أنطوانيت:

- إنك تكرهيننى.. كنت دائماً تكرهيننى.. ولكنى أستطيع أن أملى عليك إرادتى فى كل وقت.. أستطيع أن أجعلك تفعلين كل ما أريد.. ولو طلبت إليك الآن أن تركعى على ركبتيك أمامى فستفعلين.

فقالت فيليسيا بشيء من القلق:

- أنت معتوهة.

- نعم، أنك ستطيعيننى.. وستعملين على إرضائى.. إركعى على ركبتيك يا فيليسيا.. إننى آمرك بأن تركعى على ركبتيك.

ولا أعلم، هل هو صوت أنطوانيت وما فيه من ضراعة وإيحاء.. أو أن هناك عاملاً آخر أجهله.. كل ما أعلمه أن فيليسيا أطاعت، وخرت على ركبتيها راكعة وبسطت ساعديها، وخلا وجهها من كل تعبير إلا البلادة.

ودفعت أنطوانيت برأسها إلى الوراء، واستغرقت فى الضحك.. وهتفت:

- انظر إليها.. وإلى وجهها المتبلد.. إن منظرها يثير الضحك.. شكراً لك يا فيليسيا.. فى استطاعتك الآن أن تنهضى.. ولا حاجة بك لأن تنظرى إلى شذرا بعد الآن.. فأنا سيدتك، وعليك أن تفعلى ما آمرك به.

قالت ذلك واستلقت على فراشها وقد خارت قواها، أما فيليسيا فإنها حملت الصحفة وسارت نحو باب الكوخ، ولكنها قبل أن تنصرف، نظرت من فوق كتفها إلى أنطوانيت ورأيت فى عينيها حقاً ما أدهشنى.

لم أكن هناك عندما ماتت أنطوانيت، ولكن يبدو أن المعركة كانت رهيبة.. وأن أنطوانيت كانت متشبثة بالحياة فقاومت الموت مقاومة عنيفة.. وكانت تصيح بين وقت وآخر:

- لا أريد أن أموت.. هل سمعتم. لا أريد أن أموت.

حدثتنى مس سلاتر عن كل ذلك عندما قابلتها بعد ستة شهور. قالت:

- مسكين أنت يا راوول، إنك كنت تحبها.. أليس كذلك؟

- لقد أحببتها دائماً.. ولكن ماذا كان بوسعى أن أفعل من أجلها؟ دعينا لن نتحدث عن ذلك.. فأنها ماتت.. ماتت وهى فى ريعان شبابها وكلها ظمأ إلى الحياة.

فنظرت إلى باشفاق وراحت تحدث عن أشياء أخرى.

وفهمت منها أنها تشعر بقلق شديد على فيليسيا، وأن هذه الفتاة قد أصيبت أخيراً بنوع من الانهيار العصبى، إن أخلاقها وطباعها قد طرأ عليها بعد الانهيار تغيير جذرى.

وقالت مس سلاتر بعد تردد قصير:

- هل تعلم أنها بدأت تتعلم العزف على البيانو؟

ولم أكن أعلم ذلك، فدهشت، وكدت أقول أنها مهما حاولت، فلن تستطيع مدى حياتها أن تميز إحدى العلامات الموسيقية عن غيرها.

ولكن مس سلاتر استطردت قائلة:

- يقول أساتذتها أنها فتاة موهوبة.. وهذا ما يحيرنى، فقد كنت أعدها دائماً فتاة غبية، ومتخلفة عقلياً.

- أعلم ذلك.

- ولكنها تغيرت الآن تغيراً تاماً لا أستطيع تعليله.

وبعد بضع دقائق، دخلت قاعة الدرس، ووجدت فيليسيا تعزف

نفس الأغنية التى سمعت أنطوانيت تغنيها على المسرح فى باريس.

وكانت دهشتى لا حد لها.

وأحست فيليسيا بعد ذلك بأننى أرقبها فكفت عن العزف فجأة.. وتحولت إلى وفى عينيها نظرة ذكية ساخرة، وخيل إلى فى تلك اللحظة، ولكن لا أيها السادة.. لن أقول لكم ماذا خيل إلى.

وهتفت فيليسيا قائلة:

ـ أهذا أنت يا مسيو راوول:

ـ ولا أستطيع أن أصف لكم الطريقة التى نطقت بها هذه العبارة كانت دائماً منذ بلغنا سن المراهقة، تدعونى «مسيو» راوول.. ولكنها فى هذه المرة.. نطقت كلمة «مسيو» بطريقة مختلفة تماماً.

قلت لها:

ـ إنك تغيرت كثيراً يا فيليسيا.

ـ أتمنى ذلك حقاً يا راوول؟ وأسمح لى أن أدعوك راوول.. ألم نكن نلعب معاً ونحن صغار؟ كانت الحياة وقتذاك كلها ضحك ومرح.. دعنا نتحدث عن أنطوانيت المسكينة.. ترى هل هى الآن فى الجنة أو فى جهنم.

وراحت تترنم بأغنية بصوت خافت، فذهلت، وصحت بها:

ـ أتتكلمين الإيطالية يا فيليسيا؟

ـ ولم لا؟ إننى لست من الغباء كما جعلتكم تتوهموننى.. وضحكت.. فقلت:

- الحق أننى لا أفهم..

- سأوضح لك الأمر.. إنى ممثلة بارعة.. لا أحد يعلم ذلك، ولكن فى الواقع أستطيع أداء أدوار كثير.. وببراعة عظيمة.

وضحكت مرة أخرى، وغادرت الغرفة قبل أن أتمكن من استبقائها.

ورأيتها مرة أخرى قبل رحيلى.. كانت نائمة فى مقعد كبير، وتغط فى نومها بصوت مسموع.. فوقفت أرقبها بمزيج من الدهشة والاشمئزاز.. وفجأة استيقظت من نومها وتلاقت عيناها الباهتتان الخاملتان بعينى وتمتمت قائلة: - مسيو راوول؟

- نعم يا فيليسيا.. إننى راحل الآن.. هل لك أن تسمعينى إحدى معزوفاتك على البيانو قبل أن أرحل؟

- أنا؟ أعزف على البيانو؟ هل تسخر منى يا مسيو راوول.

- ألا تذكرين أنك عزفت صباح اليوم؟

فهزت رأسها ببطء وقالت:

- أنا عزفت؟ كيف تستطيع فتاة مسكينة مثلى أن تعزف؟

قالت:

وتريثت لحظة كأنما لتفكر، ثم أومأت إلى أن أدنو منها ففعلت.

- ثمة أشياء غريبة تحدث فى هذا البيت يا مسيو راوول أنهم يقومون بألاعيب صبيانية.. ويخفون الأشياء ويعبثون بعقارب الساعة..

ولكنى أعرف من الذى يفعل فسألتها فى دهشة: ـ من؟

ـ أنطوانيت.. تلك الفتاة الشريرة.. كانت تعذبنى وهى حية.. وهى الآن تخرج من قبرها وتعود لكى تعذبنى.

فنظرت إليها، ورأيت الذعر والهلع فى عينيها.

قالت:

ـ إنها فتاة شريرة.. لا تتورع عن انتزاع اللقمة من فمك، والثوب عن ظهرك والروح من جسدك.

ثم أمسكت بى فجأة وصاحت:

ـ أنا خائفة.. خائفة.. إنى أسمع صوتها أنه يدوى لا فى أذنى.. وإنما هنا.. فى رأسى.

ودقت بيدها على جبينها.. واستطردت قائلة:

ـ إنها تريد أن تطيح بعقلى.. فماذا سيكون مصيرى بعد ذلك؟

وكانت تتكلم بصوت مرتفع، وفى عينيها نظرة كنظرة حيوان فى مأزق.

ثم فجأة ابتسمت ابتسامة حلوة.. فيها دهاء وشىء آخر أرسل فى جسدى رعدة.. وقالت:

ـ وإذا لزم الأمر يا مسيو راوول.. فإن لى يدين قويتين جداً.. بل وأقوى مما تتصور.

ولم أكن قد نظرت إلى يديها بصفة خاصة قبل تلك اللحظة فلما نظرت إليهما، لم أتمالك من الارتجاف.

كانت أصابعها غليظة، وقوية جداً كما قالت.

لا شك أن أباها خنق أمها بمثل هاتين اليدين.

وكانت تلك آخر مرة رأيت فيها فيليسيا بولت.. فقد رحلت بعد ذلك إلى أمريكا اللاتينية. وعدت من رحلتى بعد عامين.

وكنت قد قرأت فى الصحف عن حياتها وموتها الفجائى. ولكنى عرفت التفصيلات من حديثكم عنها الليلة.. وسمعت ما ذكرتموه عن فيليسيا رقم ٣ وفيليسيا رقم ٤.. لا شك أنها كانت ممثلة قديرة.

وتمهل القطار فى سيره، فاعتدل الرجل الرابع، وجمع معطفه حول جسده.

وقال المحامى وهو ينحنى إلى الأمام: ما قولكم فى هذه القصة؟ وما تفسيركم لشخصية فيليسيا بولت المتعددة الجوانب؟

فقال القس يارفيت: إننى لا أستطيع أن أصدق أن..

وصمت، ولم يتم عبارته.

ولم يتكلم الطبيب، وإنما راح يتفرس فى وجه راوول لوتاردو

وقال الرجل الفرنسى مردداً عبارة فيليسيا:

- لا تتورع عن انتزاع اللقمة من فمك، والثوب عن ظهرك والروح من جسدك.

ثم نهض واستطرد قائلاً: قلت لكم أيها السادة، أن قصة فيليسيا بولت هى قصة أنطوانيت رافيل، أنكم لم تعرفوها أيها السادة.. ولكنى عرفتها.. وعرفت كم كانت تحب الحياة.

وتأهب للانصراف، ولكنه توقف فجأة وقال للقس وهو يدق على صدره بلطف.

- لقد قال صديقك الطبيب منذ لحظات.. إن هذا الجسد هو مجرد مسكن.. فأخبرنى.. ماذا تفعل إذا وجدت لصاً فى مسكنك؟ تطلق عليه النار.. أليس كذلك؟

فصاح القس:

- كلا.. كلا.. أعنى أننا لا نفعل ذلك فى هذه البلاد.

ولكن الرجل الرابع لم يسمع هذا الجواب.. إنه كان قد غادر المركبة.

وبقى القس والمحامى والطبيب وحدهم.

تمت